حق الآخر في المسيحية والإسلام
دراسة مقارنة

إعـــــداد
د/ سُعاد مُسلَّم محمد حمَّاد

2024 م

الملخص:
فلقد تناولت في هذا البحث قضية الآخر بين المسيحية والإسلام من واقع كتبهم المقدسة وما تحدث عنه التاريخ كشاهد على الواقع العملي للمسيحية والإسلام، وأثر العقيدة فيهما على العلاقات الإنسانية نحو الآخر.
وجاء الفصل الأول الذي أظهرت فيه موقف المسيحية من الآخر خلال كتبهم، وأهمية التوحيد ومدى التزامهم به، والتي نادى بها عيسى عليه السلام، ومقارنتها بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم في دين الإسلام، والاستشهاد بنصوص مختلفة في الأناجيل القانونية عندهم، ثم أوضحت مفهوم الآخر في اللغة والاصطلاح، وذكرت جميع النصوص التي تتعلق بالآخر في العهد الجديد، ووصايا المسيح عليه السلام، وأشرت إلى وجود نصوص أخرى تناقضها حيث تدعو إلى كراهية الآخر وعدم التسامح معه.
وبينت موقف العقيدة المسيحية من التعامل مع الآخر وفقًا لما دعا إليه المسيح عليه السلام ، والاهتمام بالجانب الأخلاقي في العلاقات الإنسانية في كثير من النصوص التي لا تحمل الكراهية للآخرين ، فالعتاب وتصفية النفس من وصايا المسيح عليه السلام للحث على حب الآخرين ، كما ذكرت أنواع الحقوق التي أمر بها المسيح عليه السلام الآخرين ، حيث حث على عدم الاضطهاد والتعصب والتمييز العنصري في كثير من النصوص ، كما ذكرت كثيرًا من الأدلة على التحريف الذي أصاب هذه الأناجيل وأربك عقيدتهم ، مما جعل بعضهم يتخذ تلك النصوص سلاحًا في محاربته للآخرين والاستيلاء على أموالهم باسم المسيح ، وقاموا بحملات صليبية على بلاد الإسلام وغيرهم بالقتل والتدمير والاضطهاد والعنصرية ، كما حرضوا على الكراهية ضد الآخرين باسم الدين حتى اعتدوا على الآخرين من دينهم المختلفين معهم في المذاهب ، وقتلوا عددًا كثيرًا منهم ، وأبادوا مدنًا كثيرة في الغرب والعالم الإسلامي ، وفي الفصل الثاني قارنت هذه الأمور كلها بما جاء في الإسلام من سماحة وحسن خلق ورحمة وعدل في التعامل مع الآخرين ، وذكرت ما قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون في التعامل السمح مع الآخرين في غزواتهم ، فانتشر الإسلام في كل مكان بسبب هذه السماحة والخلق الطيب الذي حث عليه الإسلام أتباعه .
كما ذكرت الأدلة التي جاءت في القرآن والسنة وكتب المغازي والسير على تميز وتفوق الدين الإسلامي في معاملة أهل الذمة وعدم إجبارهم على اعتناق الإسلام أو القضاء عليهم، وذلك من خلال مقارنة منهج الإسلام بمنهج هؤلاء النصارى في الدعوة إلى الله تعالى، وعدم التمييز العنصري في الإسلام تجاه الآخر.
الكلمات المفتاحية: حق -الآخر -المسيحية – الإسلام -دراسة - مقارنة.

Abstract:
This research deals with the issue of the other between Christianity and ،Islam from the scriptures
And what history speaks of as a witness to the practical reality of Christians and Muslims, and the impact of the faith on human relations towards the .other
In the first chapter, I recall the extent of their commitment to the unification advocated by the Prophet Isa Ali Al-Salam, comparing it to the Prophet Muhammad (peace be upon him) in the religion of Islam, citing various texts in their legal Bibles, then clarifying the meaning and meaning of the other in the language, and all the texts relating to the other are mentioned in the New Testament and Christ's Commandments for Peace. It has been pointed out that there are many texts establishing the other's right to the Bible. At the same time, other texts contradict those that call for hatred and intolerance of the other.

The Christian faith's attitude to dealing with the other has also been articulated, lacking in what Christ called for peace, and attention to the moral aspect of relations is in many texts that do not tolerate hatred of others. Punishment and self-liquidation are commandments of Christ to peace to induce the love of the other, as well as the kinds of rights ordered by Christ to others, incitement to non-persecution and intolerance, and racial discrimination in many texts

I also explained a lot of evidence of the misrepresentation of these Bibles and the confusion of their faith, which led some of them to take those texts as a weapon in their fight against others, seizing their money in the name of Christ and campaigning crusades against Islam and others by killing, destroying, persecuting and racism, they also instigated hatred against others in the name of religion until they assaulted others of their different religion with them in the doctrine and killed a large number of them, Abadu many cities in the West and the Islamic world, and I compared all these matters with the Holy Spirit of Islam, Good Creation and Mercy, and justice in .Islamic law with others

I also mentioned what the apostle Prayer of Allah and his adult successors did in dealing well with others even in their conquests until they spread Islam everywhere, because of this forgiveness, and the good creation that .Islam urged his followers

I also mentioned the evidence that came in the Koran, Sunnah, biographies and conquests on the supremacy of the Islamic religion in treating the people of Dhimah. and not to force them to convert to Islam or eliminate them by comparing Islam's curriculum with that of those who preach to God Almighty, and the lack of racial discrimination in Islam towards the other, which led others to admire Islam's forgiveness, sincerity and subsequent .accession.

Keywords: Right -The other - Christianity - Islam - Study – Comparison.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين، وما زالت شريعته ورسالته خير منهجٍ وأقوم سبيل، شهد بذلك الذي أنزل التوراة والإنجيل، فقال عز من قائل: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} 1

ومن الملاحظ في هذا العصر من قِبَل رموز العلمانية والصهيونية العالمية تآزر روافد كثيرة على إيقاد نار العداوة والبغضاء لهذا الدين، والنيل من المسلمين والإضرار بهم، والمساس بمقدساتهم، وحرق كتابهم المقدس، والتطاول على مقام الرسول صلى الله عليه وسلم، وجاء التطاول على مقام الرسول صلى الله عليه وسلم من أعلى المناصب الدينية والإدارية في النصرانية، وأصبحت قضية ما يسمى بالآخر" تشغل حيزًا واضحًا في الأطروحات الثقافية في الآونة الأخيرة، لا سيما في مواجهة التصور الإسلامي ونقده، حيث وجهوا إليه تهمة رئيسية بأنه لا يعترف بالآخر، ولا بفقه التعامل معه، بل لا يضع قضية الآخر في الحسبان، والادعاء بأنهم فرعية تتعلق بدعوى ضيق الأفق، والانغلاق، والتعصب، وما شابه ذلك.

ولهذا السبب –وغيره من الأسباب-أجريت بحثًا في الكتاب المقدس ـ من قبل ـ عند اليهود، ثم في المسيحية والقرآن الكريم، الذي بَيَّنَ علاقة المسيحيين بغيرهم من حيث التشريع أو من حيث الخبر عن فعلهم بالأمم السابقة، ولا شك أن هذا الأمر يتطلب أساسًا علميًّا، ومناهج معتمدة على دراسات عميقة حول موضوع البحث الذي عنونت له بـ: "حق الآخر في المسيحية والإسلام .

ولقد أبان البحث وسطية الإسلام من خلال عرض التشريعات المحرفة والتطبيقات الموغلة في التعامل مع الآخر المخالف، حيث ضجَت كتبهم في المسيحية بنصوصٍ تقول بأنها دين الحب والمحبة، في الوقت الذي يعدَون فيه حملاتهم الصليبية نحو بلاد المسلمين، وتوسعت فيه دائرة الحملات التنصيرية، والتطهير العرقي في البلقان ومذابح الأندلس، ومحاكم التفتيش والتمييز العنصري حتى نال طوائفهم ومذاهبهم المختلفة، ووقعت مذابح عنيفة بين الأرثوذكس والكاثوليك لمجرد الاختلاف في وجهات النظر أو الاستيلاء على ممتلكات الآخر منهم، ولأسباب الزعامة والامتلاك، كما فعلوا بالهنود الحمر، وفي أسبانيا مع المسلمين، لذا وجدت أن هناك شيئًا أخطأوا فيه بحق الآخر في المعاملات المسيحية في الداخل والخارج، وأردت أن أبيّنه من خلال ما جاء في مؤلفاتهم، ومقارنتها بموقف الإسلام والمسلمين في حق غيرهم عبر شواهد التاريخ.

ومن حق القارئ أن يتساءل: من هو الآخر؟ من منظور القيم والتطورات التي يجريها الغرب المسيحي في فضائنا على حساب ذاتنا وقيمنا؟

ورد في المعاجم اللغوية أن الآخر: هو أحد الشخصين أو الشيئين، ويكونان من جنسٍ واحد، أو هو ما يدل على فرق، على تمييز بين شخص

أو شيء مقصود وأشخاص أو أشياء من الفئة ذاتها والجنس نفسه.2

ولقد وردت كلمة "الآخر" في قوله تعالى: {أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ....}(3)

تحديد الآخر: ونعني به مجموعة القيم والمبادئ الأساسية التي جاء بها الغرب المسيحي، إضافةً إلى التجربة التاريخية التي قامت بها شعوب العالم الغربي عمومًا انطلاقًا من تلك القيم، وعملًا باتجاه إنزالها في الواقع الخارجي(4).

---

1 سورة الإسراء: 9

2 المصباح المنير صـ 17.

(3) سورة يوسف: 41

(4) مفهوم الآخر في الديانتين اليهودية والمسيحية وموقفهما فيه. د/ لغرس سوهيلة- كلية العلوم الإنسانية- جامعة معسكر، موقع: pullic Full-text

فالآخر هو ذلك الإنسان الذي لا يتفق معك في الرأي، وتختلف معه في العقيدة، سواء أكانت دينية أم حزبية، وله رأي وفكر مغاير، وقناعة مختلفة.
فالآخر هو كل من يقع في خارج الذات الفردية (الأنا)، والذات الجمعية (نحن) في إطار الشخصية الوطنية للجماعة أو الدولة أو الأمة، ومن ثم تشمل الآخر في الثقافة العربية الإسلامية الناجزة في جوٍّ من الحوار والتسامح، ولم يتعرض للإلغاء والاستئصال، إنما نظر إلى صاحبه باعتباره إنسانًا مكرمًا، لقوله تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ...} (1)
وها هو ذا الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي الأشتر وهو ذاهب إلى مصر قائلًا:
"الناس صنفان، فإما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق". شرح عهد أمير المؤمنين إلى مالك الأشتر (ص189).
إن النص القرآني رفع مكانة المغاير (الآخر) المعادي، فساواه بالآخر الموافق لقوله تعالى: {... وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} (2)
فالقرآن من حيث كونه حافظًا لما سبقه واستمرارًا له، قد تميز عنه بذلك الامتداد الرحب الذي ضم فيه جوهر القانون الأخلاقي كله، وهو الذي ظل متفرقًا في تعاليم القديسين والحكماء من المؤسسين والمصلحين، الذين تباعد بعضهم عن بعض زمانًا ومكانًا، وربما لم يترك بعضهم أثرًا من بعده يحفظ تعاليمه.
ولعل هذا الجانب هو السمة البارزة من سمات القرآن، وإن لم تكن أثمن سماته ولا أصلها (3).
إن المتأمل في مذابح الأسبان في أمريكا وفظائع سجن جوانتانامو، وسجن أبي غريب خير شاهدٍ على أن بعض المنتمين إلى المسيحية أذاقوا من سواهم أصناف العذاب، وأنهم لا يدانون في ذلك، بينما نجد بعض المسلمين من العلمانيين يظنون أن تشريعات الإسلام لا تناسب هذا العصر، وقد يتطاولون على الإسلام ويصفونه بالرجعية ويمجدون المثل والأخلاق الغربية والقيادات المسيحية، ويصفون مواقعها بالاعتدال والتسامح.
والمسيح عليه السلام هو من أنبياء بني إسرائيل، والإنجيل من ضمن الكتب التي يعظمها النصارى، ونظرًا لأنها رسالة خاصة –رسالة عيسى عليه السلام- لم يتكفل الله بحفظ كتابها كغيرها من الرسالات السابقة كالتوراة والزبور، بل استحفظ عليها أهلها، فلما لم يتعهد الله بحفظها بعد انتهاء العمل بها ضيعها أهلها وفقدت أصولها وحُرفت، وكتبها البشر بحسب أهوائهم وتخرصاتهم. قال تعالى: {وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (*) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ} (4) .
فالنصارى توارثوا الكتاب المقدس عن آبائهم وعظموه دون تمحيصٍ أو نقدٍ كما هو الحال عند اليهود والبوذيين أو الهندوس مع كتبهم الدينية يأخذها الخلف عن السلف دون بينةٍ أو برهانٍ أو سندٍ متصلٍ، بينما الإسلام هو الدين الحق، جاء كتابه المقدس بالبرهان الساطع، وقَدَّمَ الحجة القاطعة، حيث ربَّى أتباعه على طلب البرهان والحجة. قال تعالى: {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (5)
أهمية الدراسة: لكل دراسة أو بحثٍ هدف أو غرض حتى يكون ذا قيمة علمية، ومن أهم أهداف الدراسة في هذا البحث ما يأتي:

(1) سورة الإسراء: 70.
(2) سورة سبأ: 24.
(3) يراجع: دستور الأخلاق في القرآن الكريم، للدكتور/ محمد دراز، ص8، تحقيق الدكتور/ عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت.
(4) سورة البقرة: 78، 79.
(5) سورة البقرة: 111.

بيان موقف الإسلام من الآخر، ووصف النظرة الشرعية من خلال مصادر التشريع الإسلامي المتفق عليها، وعلى رأسها القرآن والسنة.
بيان النظرة التاريخية والعلمية لأخلاق المسلمين تجاه الآخر في كل معاملاتهم وغزواتهم.
بيان موقف المسيحية من الآخر، من خلال نصوص كتابهم المقدس ومقارنتها بالجانب الإيماني الأخلاقي العملي لهم في معاملتهم لغيرهم من خلال شواهد التاريخ.
الرغبة القوية في إثراء المكتبة الإسلامية والعربية، وعلم مقارنة الأديان والأخلاق العملية على وجه الخصوص، بدراسةٍ أحسب أنها مفيدة، وربما تكون لبنة تضاف إلى لبنات سابقتها في هذا المجال لخدمة هذا الدين الحنيف.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة لهذا الموضوع إلى إبراز كيفية ممارسة أصحاب النصرانية (المسيحية) للحياة الإيمانية العملية في معاملة غيرهم، ومدى الاختلاف الذي وقعوا فيه نتيجةً لتباين مواقفهم بالفصل بين ما جاء في نصوص كتابهم المقدس وبين معاملتهم مع الآخر في الحياة العملية نتيجةً لتحريفهم للنصوص حسب أهوائهم ومصالحهم ومقارنة ذلك بوسطية الإسلام وشريعته في معاملة غيرهم امتثالًا لأوامر الله تعالى ورسوله الكريم، وفقًا لما جاء في القرآن الكريم من تعاليم ربانية تحثهم على ذلك، وتبني فيهم الأخلاق العملية.

منهج البحث:

إن المقصود من المنهج: الطريقة التي يتبعها العقل في دراسة موضوع ما، للوصول إلى قانون عام أو مذهب جامع، وهو فن ترتيب الأفكار ترتيبا دقيقا بحيث يؤدي إلى كشف حقيقة.
وقد تعددت مناهج البحث العلمي تبعا لتعدد جوانب الدراسة من المناهج المتبعة في هذا البحث ما يلي:
المنهج التاريخي: هو ذلك المنهج الذي يعتني بوصف الأحداث التي وقعت في الماضي وصفا كيفيا وذلك برصد عناصرها وتحليلها، ومناقشتها وتفسيرها، والاستناد على ذلك الوصف في استيعاب، الواقع الحالي وتوقع اتجاهاتها المستقبلية القريبة والبعيدة.1
المنهج الوصفي: وهو طريقة لدراسة الظواهر أو المشكلات العلمية من خلال القيام بالوصف بطريقة علمية، ومن ثم الوصول إلى تفسيرات منطقية لها دلائل وبراهين تمنح الباحث القدرة على وضع أطر معينة للمشكلة، ويتم استخدام ذلك في تحديد نتائج البحث. (2)
المنهج التحليلي: يعد هذا المنهج طريقة من طرق البحث، لاستنتاج أفكار ومعلومات من النصوص وفق ضوابط وقواعد محددة متعارف عليها، وهو الطريقة التي يقوم فيها الباحث لبذل أقصي جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص. (3)
المنهج المقارن: وهو عملية عقلية تتم بتحديد أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بين حادثتين اجتماعيتين أو أكثر للحصول على معارف أدق، نميز بها موضوع الدراسة أو الحادثة في مجال المقارنة والتصنيف.(4)(وهو أساس البحث)

---

1 مناهج البحث العلمي د/ محمد علي سرحان المحمودي (صـ 46)، المكتبة الوسطية، صنعاء، الطبعة الثالثة 1441هـ 2019م
2 البحث العلمي أساليبه النظرية وممارسته العلمية صـ 147 بتصرف، د/ رجاء وحيد دويدري، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولي 2002.
3 البحث العلمي، مفهومه، أدواته، أساليبه، 247صـ، ذوقان عبيدات، دار إشراقات للنشر والتوزيع، 1424، 2003م، كتابة البحث العلمي، صياغة جديدة، صـ64، عبد الوهاب أبو سليمان، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة السابعة 1423هـ.
4 كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، عبد الوهاب أ بو سليمان، مكتبة الرشد، الريان الطبعة السابعة، 1423،هـ (صـ64).

راعى البحث الإنصاف في عرض القضايا بلا تعصبٍ أو هوى، فإن كان لدى الغير –أعني غير المسلمين- صوابًا ذكرته. وهذا هو منهج الإسلام في التعامل مع أهل الكتاب. قال تعالى: {... وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (1)

هذا، وقد قسمت البحث إلى فصلين: واشتمل كل فصلٍ على عدة مباحث:

الفصل الأول: موقف المسيحية من الآخر من خلال العهد الجديد وموقف التاريخ منها.

واحتوى الفصل على عدة مباحث، وهي:

المبحث الأول: أهمية التوحيد في بناء العلاقات الإنسانية نحو الآخر في المسيحية.

المبحث الثاني: أنواع الحقوق التي أقرها المسيح من خلال الإنجيل.

المبحث الثالث: التطبيق العملي للحقوق نحو الآخرين من خلال التاريخ.

المبحث الرابع: التمييز العنصري في المسيحية نحو الآخر.

الفصل الثاني: القواعد العامة للعلاقات الإنسانية في الإسلام.

وحوى الفصل عدة مباحث، هي:

المبحث الأول: الإخاء مفهومه ومظاهره.

المبحث الثاني: حق الآخر في القرآن الكريم والسنة النبوية.

المبحث الثالث: مقاومة الفساد في المجتمع الإسلامي والإصلاح بين الناس.

المبحث الرابع: أهمية العيش المشترك وعدم التمييز بين المسلمين وغيرهم.

1سورة المائدة: 8.

الفصل الأول

موقف المسيحية من الآخر من خلال العهد الجديد وموقف التاريخ منها.
واشتمل على أربعة مباحث، وهي:
المبحث الأول: أهمية التوحيد في بناء العلاقات الإنسانية نحو الآخر في المسيحية.
المبحث الثاني: أنواع الحقوق التي أقرها المسيح من خلال الإنجيل.
المبحث الثالث: التطبيق العملي للحقوق نحو الآخرين من خلال التاريخ.
المبحث الرابع: التمييز العنصري في المسيحية نحو الآخر.

تمهيد

جاء في دستور الأخلاق في القرآن الكريم للدكتور محمد دراز قاعدة ذهبية تقول: "لا يؤلف أحدٌ كتابًا إلا في أحد أقسام سبعة، ولا يمكن التأليف في غيرها، وهي إما أن يؤلف من شيءٍ لم يسبق إليه يخترعه، أو شيء ناقص يتممه،
أو شيء مستغلق يشرحه، أو طويل يختصره دون أن يخل بشيءٍ من معانيه،
أو شي مختلط يرتبه، أو شيء أخطأ فيه مصنفه يبينه، أو شيء مفرق يجمعه"(1).
وفي بحثي هذا وجدت أن النصوص الواردة في العهد الجديد في حق الآخر كلها محبة، وتبعث على احترام الآخرين وحفظ حقوقهم الإنسانية، بل وتحث أتباع هذا الدين على التسامح والمعاملة الحسنة مع غيرهم، سواء كانوا من بني جلدتهم من النصارى بشتى طوائفهم ،أو من أصحاب الكتب السماوية الأخرى، أو الذين لا دين لهم ويتبعون مذاهب مختلفة، بل وصل الأمر في وصايا الإنجيل إلى حد المثالية في التعامل مع غيرهم بما يفوق طباع البشر وتفعله الملائكة، ولكن في الجانب الأخلاقي العملي لهذه التشريعات النصرانية على مر التاريخ نجد التناقض والاختلاف لما جاء به الإنجيل، وكتب الشريعة عندهم، فالذي يقوم به هؤلاء في الغرب المسيحي عند دخولهم الحرب ليس فيه أدنى مسكة من تعاليم المسيح عليه السلام من خلال ما قاموا به في حروبهم في فرنسا أو في أسبانيا أو في الحروب الصليبية على بلاد المسلمين، فهم يدمرون الآخر ويعتدون عليه بوحشية لا تتفق مع تعاليم الإنجيل الذي يتعبَدون به، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل سخروا أقلامهم للتعدي على دين الإسلام بكل ما يملكون من وسائل الاستشراق والتبشير والدعاية الكاذبة من أجل هدف واحد، هو المصلحة المادية والمكاسب الاقتصادية لتدمير الإسلام مما نتج عنه الإصرار على إبادة الآخرين من غيرهم وأخذ ثرواتهم والتعدي على وجودهم، وحتى يومنا هذا نرى المذابح والتدمير والقتل غير المبرر، والسجون العالمية لغيرهم والتعدي على أديان الآخرين بحرق كتبهم المقدسة والنيل من أنبيائهم، ولا رادع لهم من الدين، إلى جانب هذا نجد أن الكتب المقدسة لديهم لم تسلم من التحريف والتبديل على مر الزمان لتحقيق أهدافهم المادية وصبغها بالدين لتنال الشرعية.

المبحث الأول:

أهمية التوحيد في بناء العلاقات الإنسانية نحو الآخر في المسيحية

إن الإسلام يختلف عن النصرانية في كثيرٍ من الأصول، ولا سيما في التوحيد المطلق الذي هو أصلٌ أساسيٌّ، وذلك أن الإله الواحد الذي دعا إليه الإسلام، مهيمن على كل شي، وهو أول دين أدخل التوحيد إلى العالم ، بل حافظ على التوحيد الذي كان أول معتقد في الرسالات السابقة (2). وقد ورد في الأناجيل نصوص توصي بالتوحيد لله تعالى، ولكن امتدت إليها يد التحريف فأربكت الفكرة، وهذا

(1) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر- شمس الدين البابلي (41/4)، ط القاهرة، 1284ه، نقلًا عن كتاب دستور الأخلاق في القرآن الكريم للدكتور محمد دراز.
(2) حضارة العرب- غوستاف لبون، ص134. بتصرف.

المعتقد ظل مرتبكًا في كافة الأناجيل، ولم يثبت التوحيد الخالص في المسيحية، فقد ورد في إنجيل متى: (وَلاَ تَدْعُوا لَكُمْ أَبًا عَلَى الأَرْضِ، لأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ) (1).

لكن النصارى خالفوا هذه التعاليم فجعلوا المسيح الذي هو على الأرض إلهًا من دون الله رغم وجود بقايا من الوحي في نصوصهم تشير إلى توحيد الله المطلق، كما جاء في هذا النص من إنجيل متَى حينما كان المسيح يخاطب إبليس قائلًا: (إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ، فَاطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى أَسْفَلُ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ)، بل قال يسوع: «وَمَكْتُوبٌ أَيْضاً: لَا تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَك وَقَالَ لَهُ: «أُعْطِيكَ هَذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي».

فرد عليه يَسُوعُ قائلًا: «ٱذْهَبْ يا شَيْطَانُ! لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ ».

وهذا اعتراف من المسيح عليه السلام بوحدانية الله وعدم السجود لغيره سبحانه، وأن المسيح بشر مخلوق، وإلا لما حاول إبليس خداعه. وقد اتضح في إنجيل "مرقس" من خلال وصايا المسيح عليه السلام أو يسوع - كما يسمونه - عن التوحيد وأثره في العلاقات الإنسانية فقال: (فَجَاءَ وَاحِدٌ مِنَ ٱلْكَتَبَةِ وَسَمِعَهُمْ يَتَحَاوَرُونَ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ أَجَابَهُمْ حَسَنًا، سَأَلَهُ: «أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ أَوَّلُ ٱلْكُلِّ ؟».

فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ ٱلْوَصَايَا هِيَ: ٱسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ . ٱلرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. وَتُحِبُّ ٱلرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هَذِهِ هِيَ ٱلْوَصِيَّةُ ٱلْأُولَى، وَثَانِيَةٌ مِثْلُهَا هِيَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ . لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ». (2)

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: إن عقيدة النصارى لا تختلف بالنسبة لها الكنائس وهي أصل الدستور بينه وبين المجمع النيقاوي، هي الإيمان بإلهٍ واحد، أب واحد، ضابط الكل خالق السماوات والأرض، وكل ما يرى وما لم ير، ورب واحد يسوع الابن الوحيد المولود من الأب قبل الدهور من نور الله إله حق من إله حق مولود غير مخلوق، مساوي للأب في الجوهر الذي به كان كل شيء، هذا هو جوهر العقيدة ولبَها الذي لا اختلاف فيه(3).

فالألوهية عند النصارى وفكرة التوحيد غير واضحة، فهي متناقضة

ولا يمكن الإقرار بأنهم موحدون، فإذا قرأت نصوصهم تشعر بالتناقض بين نصٍّ وآخر، وأحيانًا في النص الواحد نجد أوله يقرون بالتوحيد ونهايته التجسيد والتثليث أو التولد الثلاثي، يقول برتشرد عنهم: "لا تخلو كافة الأبحاث الدينية المأخوذة من مصادر شرقية من ذكر أحد أنواع التثليث أو التولد الثلاثي (الأب، الابن، الروح القدس)(4)، قال تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ....}(5).

ففكرة التثليث فكرة وثنية مأخوذة من الأمم الوثنية كما قال موريس بوكاي: كان عند أكثر الأمم البائدة الوثنية تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت الثالوثي، أي أن الإله ذو ثلاثة أقانيم .

وفي كتاب "المحاور الخمسة" للشيخ محمد الغزالي ينتقد التوحيد في إنجيل يوحنا فيقول: "إن النصارى يرفضون بشدة أن يوصفوا بتعدد الآلهة ويقولون: نحن نؤمن بإلهٍ واحد، وهذا الرفض بقية ولاء للمواريث السماوية عندهم، وليتها بقيت لم تشبها شائبة، فإذا قلت: لقد جعلتم الله ثالث ثلاثة، قالوا: لا، إنه الثلاثة كلها.. فإذا سألت: هل دائرة الألوهية انقسمت ثلاثًا لكل واحدٍ منهم الثلث ؟ قالوا: لا ، كل من الآب والابن والروح القدس إله مستقل متميز، ومع ذلك فهو واحد؟!!"

---

(1) [إنجيل متى9/23].
(2) [إنجيل مرقس، الإصحاح: 12، فقرة: 28- 32].
(3) محاضرات في النصرانية، الإمام محمد أبو زهرة، ص91، دار الفكر العربي.
(4) مقارنة الأديان- دراسة في عقائد الأديان اليهودية والمسيحية والإسلام والأديان الوضعية، ص180، دار العلوم العربية، بيروت، 1425ه – 2005م.
5 [سورة المائدة: 17].

ثم يقول أحد رؤساء الكنسية: "إن الإله الابن هو صفة العلم، والإله روح القدس هو صفة الحياة".
ونظير ما جاء في الأناجيل الثلاثة (متى، ومرقس، ويوحنا) خيوط نستشف منها ما يدل على الشرك بالله تعالى(1).
وجاء في إنجيل يوحنا قول المسيح عليه السلام مخاطبًا مولاه: (وَهَذِهِ هِيَ ٱلْحَيَاةُ ٱلْأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ ٱلْإِلَهَ ٱلْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ ٱلْمَسِيحَ ٱلَّذِي أَرْسَلْتَهُ) .(2).
وفي الإصحاح الخامس: (كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تُؤْمِنُوا وَأَنْتُمْ تَقْبَلُونَ مَجْدًا بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ، وَٱلْمَجْدُ ٱلَّذِي مِنَ ٱلْإِلَهِ ٱلْوَاحِدِ لَسْتُمْ تَطْلُبُونَهُ ؟ (3)
وفي الإصحاح الثامن والعشرين: (لِأَنِّي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى ٱلْآبِ ، لِأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي) وَهُوَ ٱللهُ ».(4)
ومن خلال ما سبق، إن الرومان لم يتنصروا، وإن النصرانية هي التي ترومت، وإن تعاليم السماء هي التي خالطها من أركان الوثنية ما أزرى بها، وليت قسطنطين لم يتنصر، وليت الكهان الذين تابعوه أوفياء لدينهم الحق.
وفي القرآن الكريم تصحيح لرسالة أتباع المسيح عليه السلام، وتأكيد على أن المسيح جاء برسالة التوحيد إلى بني إسرائيل، وحارب الوثنية في آخر سورة المائدة، حيث قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (*) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (5)
الإيمان بالله تعالى لا يتحقق إلا بالاعتراف بحقوق الآخرين:
لقد اقترنت موعظة السيد المسيح عليه السلام في وصيته الأولى بحب الآخرين مع التوحيد بالله الواحد الأحد وليس آخر سواه في إنجيل مرقس، وهنا نقول: إن الإيمان بالله تعالى عند المسيح عليه السلام لا يتحقق إلا إذا آمنت بأن للآخرين حقوقًا عليك، وأن على الإنسان الموحد بالله تعالى أن يحب قريبه كنفسه، يقول المسيح عليه السلام لمن قال له: (أَيُّهَا المُعَلِّم الصّالِح فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلَّا وَاحِدٌ وَهُوَ ٱللهُ).
ففي هذا النص نجد أن المسيح عليه السلام نفى الصلاح أي الكمال المطلق عن نفسه وعن غيره من العباد وخصه بالله تعالى، وهذا يثبت وحدانية الله تبارك وتعالى واللبنة الأساسية لبناء علاقات إنسانية سليمة، ثم قال المسيح: (اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ . ٱلرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. إسرائيل فَتُحِبُّ ٱلرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ)، هذه هي الوصية الأولى، ثم قال: (هِيَ أَنْ تُحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ . لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ». فَقَالَ لَهُ ٱلْكَاتِبُ: «جَيِّدًا يَا مُعَلِّمُ. بِٱلْحَقِّ قُلْتَ، لِأَنَّهُ ٱللهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ .(6).
لقد أكدت رسالة المسيح عليه السلام في بعض نصوص الإنجيل حقوق الآخرين تأكيدًا على اهتمام المسيحية بالعلاقات الإنسانية، كما أمر الله تعالى بني البشر تحقيقًا للسلام الاجتماعي والمودة والرحمة، ومن هذه الحقوق التي أوصى بها المسيح عليه السلام للآخرين "السلام الاجتماعي مع الآخر"، فقال عليه السلام:

---

(1) المحاور الخمسة للقرآن الكريم للشيخ محمد الغزالي، ص29، دار الصحوة للنشر والتوويع، الطبعة الخامسة، 1421ه – 2000م.
(2) [إنجيل يوحنا، الإصحاح: 17، الفقرة: 41/14/44] .
(3) [إنجيل يوحنا، الإصحاح: 5، فقرة: 44].
(4)[إنجيل يوحنا، الإصحاح: 28].
وأيضًا قوله لتلاميذه: (أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ أَبِيكُمْ». فَقَالُوا لَهُ: «إِنَّنَا لَمْ نُولَدْ مِنْ زِنًا . لَنَا أَبٌ وَاحِدٌ
(5)[سورة المائدة: 116، 117].
6 [إنجيل مرقس، إصحاح: 17- 18- 29- 32].

أولًا: ألا نبدأ نحن بالظلم.
ثانيًا: ألا نقابل الخطأ بالخطأ وألا نثأر بانتقامٍ موازٍ.
ثالثًا: ألا نعامل من يضرنا بنفس المعاملة بل أن نهدأ تمامًا.
رابعًا: أن نبذل ذواتنا لأجل من يخطئ إلينا.
خامسًا: أن نعطي أكثر مما يطلب الآخر أو يعطي.
سادسًا: ألا نكره من يفعل بنا شرًّا.
سابعًا: أن نحب هذا الآخر.
ثامنًا: أن نحسن إليه أيضًا.
تاسعًا: أن نصلي لأجل من يسيئ إلينا.
وفي هذه الأقوال الحث على مكارم الأخلاق مع الآخرين وبناء العلاقات الإنسانية مع "الآخر" على الإيثار والتحلي به وهو جوهر عقيدة الإسلام. قال صلى الله عليه وسلم: «««إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»(1)، وقال صلى الله عليه وسلم: ««« مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى .»(2).
وقد أوصى المسيح في إنجيل "متى": «قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ :لَا تَقْتُلْ، وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ ٱلْحُكْمِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلًا يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ ٱلْحُكْمِ، وَمَنْ قَالَ لِأَخِيهِ: رَقَا ، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ ٱلْمَجْمَعِ، وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ.
فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى ٱلْمَذْبَحِ، وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لِأَخِيكَ شَيْئًا عَلَيْكَ، فَٱتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ ٱلْمَذْبَحِ، وَٱذْهَبْ أَوَّلًا ٱصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ ، وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ. كُنْ مُرَاضِيًا لِخَصْمِكَ سَرِيعًا مَا دُمْتَ مَعَهُ فِي ٱلطَّرِيقِ، لِئَلَّا يُسَلِّمَكَ ٱلْخَصْمُ إِلَى ٱلْقَاضِي، وَيُسَلِّمَكَ ٱلْقَاضِي إِلَى ٱلشُّرَطِيِّ، فَتُلْقَى فِي ٱلسِّجْنِ. ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: لَا تَخْرُجُ مِنْ هُنَاكَ حَتَّى تُوفِيَ ٱلْفَلْسَ ٱلْأَخِيرَ!
ثانيًا: تُحِبُّ الآخر كَنَفْسِكَ (3) .
وفي تفسير الكتاب المقدس، يقول القديس أغسطينوس شارحًا لهذه النصوص: لكي تستطيع أن تتم ما قد أمرنا به اليوم كما جاءت العبارة الإنجيلية التي بين أيدينا يلزمنا مثل كل شيء ألا تحمل كراهيةً، لأنه عندما لا تكون هناك خشبة في عينك تقدر أن ترى حقًّا ما بعين أخيك، وتكون متضايقًا حتى تزيل عن أخيك ما تكرهه. النور الذي فيك لا يسمح لك بإهمال نور أخيك، أما إن حملت فيك كراهيةً وتريك إصلاحه، فكيف تصلح وأنت فاقد النور)(4).
ثم يشرح القديس يوحنا الذهبي الفم ما جاء به المسيح عليه السلام نحو الآخر فقال: (عندما تفكر في الانتقام انظر إنك تنتقم من نفسك لا من الآخرين، إذ تربط خطاياك لا خطايا أخيك)، ثم يقول: (أي شيءٍ أكثر خطورةً من أن تكون منتقمًا إن كان هذا ينزع عنك عطية الله العظمى).
ويرى أن الذي يخطئ إلينا ويظلمنا إنما يسبب لنا نفعًا عظيمًا إن احتملناه بحب، إذ يقول أيضًا: (لا تقل إنه شتمك وافترى عليك وصنع بك شرورا
بلا حصر فإنه نافع لك إنه يقدم لك فرصةً لغسل خطاياك، وقدر ما تعظم الأضرار التي يصبها عليك يكون علة لنوالك غفرانًا عظيمًا للخطايا أو كما يقول إننا نعاقب أنفسنا بكراهيتنا للآخرين كما نستفيد بحبنا لهم)(5).
ويرى القديس يوحنا الذهبي الفم، أن أهمية أن تذهب للمخطئ ولا تنتظر مجيئه (لأنه ليس بالأمر السهل أن يذهب من ارتكب الخطأ ليعتذر لأخيه وذلك بسبب الخجل وارتباك وجهه يطالب السيد الذي

(1) رواه البزار في مسنده (364/1) (8949)، القضاعي في مسند الشهاب (192/2) (1165).
(2) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم
4/ 1999 "2586"
(3) [إنجيل متى، الإصحاح: 26، فقرة: 5 : 21].
(4) تفسير الكتاب المقدس، القديس أغسفينوس، ص65.
(5) تفسير الكتاب المقدس، يوحنا الذهبي الفم، ص101.

أصيب بالخطأ ليس فقط بالذهاب إلى أخيه وإنما يذهب بطريقة بها يصحح ما قد حدث فلم يقل له: أذهب التهمة أو انصحه أو اطلب منه تصفية الحساب وإنما (عاتبه)(1) مختبرًا إياه بخطئه، وما هذا إلا لتذكيره بما أخطأ به، أخبره بما حل بك على يديه، بطريقة لائقة كمن يقدم له العذر ويسحبه بغيره نحو المصالحة)(2).

فالعتاب وتصفية النفس من وصايا المسيح عليه السلام للحث على حب الآخر والحرص على المودة بينهم وإزالة جميع العقبات التي تعرض العلاقات الإنسانية للخطر أو الانهيار في المجتمع، واقتداءً بالسيد المسيح عليه السلام، فقد جاء ليعاتبنا بالحب ويدفعنا بعمله الخلاص للتوبة لكي يربحنا له كأعضاء جسده المقدس، إنه لم ينتظرنا نذهب إليه بل جاء إلينا ولذا فإن الوصية التي يقدمها لنا السيد لا يمكننا أن نكملها ما لم نحمله هو في داخلنا فنسلك سلوكه ونحمل فكره فينا.

ولا شك أن التغافل عن أخطاء الآخرين يورث المحبة، قال الإمام ابن القيم: "من أساء إليك ثم جاء يعتذر من إساءته، فإن التواضع يوجب عليك قبول معذرته، حقًّا كانت أو باطلًا، وتكل سريرته إلى الله"، فما بالك أن تذهب لمن أخطأ فيك ولا تنتظر مجيئه؟ فهذا يُشعره بالخجل منك". ثم يقول ابن القيم: "وعلامة الكرم والتواضع أنك إذا رأيت الخلل في عذره لا توقفه عليه ولا تحاجه، وقل: يمكن أن يكون الأمر كما تقول، ولو قضى شيئًا لكان، والمقدور لا مدفع له ونحو ذلك".(3)

وقال الإمام الشافعي: "الكيس العاقل، هو الفطن المتغافل". وقال الحسن: "ما استقصى كريم قط"(4).

قال الله تعالى: {...عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْض...}(5) قال تعالى: {وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ} (6)

وعن أنس رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ببرد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذةً شديدةً، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم وقد أثرت به حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه فضحك ثم أمر بعطاء"(7)، وهذه رحمة من النبي صلى الله عليه وسلم بالأعرابي، والتماس العذر له ، فليس كل أمرٍ يستحق وقوفك والرد عليه.

ويقول القديس أغسطينوس: "إذا أخطأ إليك أخوك سرًّا ابحث عنه لتصحح خطئه خفيةً، فإن أردت توبيخه أمام الجميع فأنت لا تكون مصلحًا لأمره بل فاشيًا للسر، وإن كان قد أخطأ إليك وحدك وأنت تعرف ذلك، فهو مخطئ إليك وحدك، أما إذا أساء إليك أمام كثيرين فقد أخطأ إليهم أيضًا بمشاهدتهم إساءته إليك، لهذا يجب انتهاره أمام جميع من ارتكب أمامهم الخطأ(8).

---

(1) تفسير الكتاب المقدس، تاورس يعقوب، ص114.
(2) تفسير الكتاب المقدس، تاورس يعقوب، ص114.
(3) كلام ابن القيم من مدارج السالكين، صـ 433.
(4) كثرة العتاب تفرق الأحباب، إسلام ويب، وخالد سعد النجار، تاريخ النشر: 2015/3/5، التصنيف، ثقافة وفكر.
(5) [سورة التحريم: 3].
(6) [سورة القصص: 55].
7 أخرجه الإمام البخاري في كتاب: اللباس، باب: البرود والحرة والشملة، (146/7) (5809). وأخرجه الإمام مسلم في كتاب: الزكاة، باب: إعطاء من سأل بفحش وغلظة، (730/2) (1057).
(8) تفسير الكتاب المقدس، تادرس يعقوب، ص114. بتصرف.

المبحث الثاني

أنواع الحقوق التي أمر بها المسيح عليه السلام

1- حق التسامح مع الآخرين:

(وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَٱتْرُكْ لَهُ ٱلرِّدَاءَ أَيْضًا ، وَمَنْ استَعرَضَك فَلَا تُعرِض عَنهُ أحِبُّ قَرِيبَكَ).(1)

وهنا يدعو السيد المسيح في تعاليمه إلى درجةٍ عاليةٍ من العفو والتسامح ويدعو إلى مقابلة الظلم بالحب وعطاء أكبر مما يريده الظالم(2).

وفي نصٍّ آخر يقول: (فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ لَهُ ثَوْبَانِ فَلْيُعْطِ مَنْ لَيْسَ لَهُ، وَمَنْ لَهُ طَعَامٌ فَلْيَفْعَلْ هَكَذَا».)(3)، ثم يقول:

(وَجَاءَ عَشَّارُونَ أَيْضًا لِيَعْتَمِدُوا فَقَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، مَاذَا نَفْعَلُ؟».(4)

فَقَالَ لَهُمْ: «لَا تَسْتَوْفُوا أَكْثَرَ مِمَّا فُرِضَ لَكُمْ ».(5)، أيضًا قائلين: (وَسَأَلَهُ جُنُودٌ أَيْضًا قَائِلِينَ: «وَمَاذَا نَفْعَلُ نَحْنُ؟». فَقَالَ لَهُمْ: «لَا تَظْلِمُوا أَحَدًا، وَلَا تَشُوا بِأَحَدٍ ، وَٱكْتَفُوا بِعَلَائِفِكُمْ».6

إن فلسفة بعثة الأنبياء وإنزال الكتب السماوية في الأساس ترجع إلى الترقي بالطبع الإنساني إلى مستوى الخلافة الإلهية، ولكن بالرغم من محاولة لوقا في إنجيله إظهار المحبة والتسامح في كثيرٍ من النصوص إلا أن هناك نصوصًا أخرى تنفي هذا التسامح، في موطنٍ آخر: «لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ، أَوْ يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللهَ وَالْمَالَ."(7)، فهذا يناقض ما قاله من قبل، وهو نوعٌ من الحقد والبغضاء والتربية على الانتقام والتطلع إلى استمرار المثلات في حياة الآخر المخالف ولا يتفق مع رسالة المسيح في معاملة الآخر، فعندما سئل المسيح من هو قريبي؟ يطرح السؤال بهذه الصيغة: فَأَيَّ هَؤُلَاءِ ٱلثَّلَاثَةِ تَرَى صَارَ قَرِيبًا لِلَّذِي وَقَعَ بَيْنَ ٱللُّصُوصِ؟».

ليكون الجواب ما معناه أنه من عمل نفسه قريبًا من الإنسان المحتاج، إذن تصبح قضية تحديد (هوية القريب) موقفًا فعالًا نحو الآخر، مهما يكن هذا الآخر ولمجرد احتياج هذا الآخر، ليس المقياس هو (الأنا) بل (الآخر) مهما يكن، ومن هنا يمثل منطق (السامري) حقًا جذريًّا في العلاقات بالآخر. (8)

ونجد في سيرة يسوع المسيح أنه عاش في المجتمع اليهودي، ولكنه كل مرة من جديد، يكسر الحدود والحواجز التي يضعها الناس، ولذلك يرى القديس بولس في رسالته إلى أهل أفسس أن المسيح هو من هدم أعمق الحواجز بين الناس، أي العداوة ويقول المسيح: (طُوبَى لِصَانِعِي ٱلسَّلَامِ، لِأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ ٱللهِ يُدْعَوْنَ.)(9)

من يسعى إلى السلام بين المتخاصمين ويقوم بالمصالحة بين الأعداء بين كل أنواع الناس الذين بينهم عداوة يظهر بذلك انتماءه إلى الله ويعكس مباشرةً موقف الله تعالى ذاته(10)، ولم يظهر هذا التسامح بين أتباع طائفتين مختلفتين من أتباع المسيح عليه السلام يعبدون إلهًا واحدًا، فالعقائد المتناقضة لا تظل متقابلة من غير أن تتصادم عندما تشعر إحداها بقدرتها على قهر الأخرى، فلما ضعف البروتستانت في أيام لويس الرابع عشر عدلوا عن القيام بأية حركة عدائية وأصبحوا مسالمين، وقد

---

1 [إنجيل متى: 38].
(2) الموسوعة الكنسية، ص55، موقع الأنبا تكلا هيمانوت.
3 [إنجيل لوقا: 3 : 11]
4 [إنجيل لوقا: 3: 12]،
5 [إنجيل لوقا: 3: 13رلا
(6) [إنجيل لوقا: 3: 14].
(7) (متى 6: 24).) [إنجيل لوقا: 16].
(8) [إنجيل لوقا: 36].
(9) [إنجيل متى: 5 – 9].
(10) مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، ص87، تأليف د/ رقية العلواني، الأب د/ كريستيان فانسين- سمير مرقص، القس إكرام لمعي.

كان عددهم 1200000 نفس، وكان لهم 600 كنيسة لها 700 قسيس، وبما أن بقاءهم في فرنسا مما لم يصبر عليه كهنة الكاثوليك أخذوا في اضطهادهم فاعتمد لويس الرابع عشر سنة 1685 على فرسانه في قتل أناس كثيرين منهم(1)، فليس لديهم ثبات على دين عيسى عليه السلام أو اتباع دعوته نحو الآخر بسبب التناقضات التي تغذي التمييز العنصري والاضطهاد نحو المخالفين لهم في الأناجيل المحرفة.

ويشهد على ذلك ما قاله الإمام ابن حزم الأندلسي رحمه الله في هذا الأمر: "نذكر إن شاء الله تعالى ما في الكتب المذكورة من الكذب الذي لا يشك كل ذي مسكة تمييز في أنه كذب على الله وملائكته عليهم السلام وعلى الأنبياء عليهم السلام إلى أخبار أوردوها لا يخفى الكذب فيها على أحد، كما لا يخفى ضوء النهار على ذي بصر، وقد كنا نعجب من إطباق النصارى على تلك الأقوال الفاسدة المتناقضة التي لا يخفى فسادها على أحدٍ به رمق إلى أن وقفنا على ما بأيدي اليهود فرأينا أن سبيلهم وسبيل النصارى واحد كشق الأنملة (2).

وجاء في رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية 12: 19: " لَا تَنْتَقِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا ٱلْأَحِبَّاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «لِيَ ٱلنَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي، يَقُولُ ٱلرَّبُّ ».

ثم يقول: "اغضَبُوا ولَا تُخطِئُوا الَّذِي تَقُولوَنُه فَي قُلُوبَكُمُ اندَمُوا علَيّهِ فِي مَضَاجِعِكُمُ"](3)، وهو يقصد الغضب المنفلت الذي يؤدي للإساءة للغير أو إيقاع الأذى به، وفي إنجيل متى (5 : 22): (إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلًا يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ) وفي إنجيل يوحنا: " كُلُّ مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ قَاتِلُ نَفْسٍ،) [يوحنا/ 3 : 15]، وأيضًا: (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ قَاتِلِ نَفْسٍ لَيْسَ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِية ثابتة فيه) هذا هو التسامح المنصوص عليه في الكتاب المقدس، وهو تسامح لفظي لا يرقى إلى الواقع الفعلي في تاريخهم العملي لجميع العلاقات الاجتماعية والأخلاقية بينهم وبين غيرهم سواء كان "الآخر" من اليهود

أو المسلمين، ففي أوروبا، اضطهد المسيحيون اليهود أشد الاضطهاد، ولم يعترفوا لهم بأية حقوقٍ مدنية، إذ أقصوهم من جميع العلاقات الاجتماعية بين المواطنين، وكان هَمُّ الكنيسة المسيحية تفريق اليهود عن المسيحيين والحفاظ على هذا التفريق، وكان قسيسوها من البابا حتى قس القرية يحملون على كل من تعامل مع اليهود من رعيتهم تعاملًا سافرًا، وعندما احتل النصارى مدينة قرطبة وطليطلة في أسبانيا، صدر مرسوم ملكي بعد احتلاله من قِبَل المسيحيين بتأسيس "جيتوا" فيهما يقول: "على جميع اليهود والعرب في كل مدينة وبلدة وقرية وناحية في المملكة أن يتجمعوا أو يسكنوا في مناطق مخصصة لهم وألا يختلطوا بالمسيحيين بل عليهم ألا يجتمعوا معهم تحت سقفٍ واحد"(4).

فالإيمان لا يستلزم التعصب ولا يقتضي التزمت إلا عند من صدأت قلوبهم وأظلم الجهل عقولهم، فالإيمان والتسامح لا تربط بينهم علاقة تضاد أو تناقض. تمنع اجتماعهما معًا، إنما تقوم علاقة التضاد بين التعصب والتسامح واجتماع الضدين عند المناطقة محال، فلا يمكن للعقل قبول أن يكون الشيء ونقيضه في نفس الوقت، لأن الإيمان يشيع الطمأنينة في النفس ويملأ شعابها غبطةً وروحًا، وهذه الطمأنينة زاد لا يستغنى عنه الإنسان (5)، وهو ما تفتقده النصوص في الأناجيل المختلفة. إن الإيمان الصادق يستبد بهوى أهله ويدفعهم إلى التفاني في نصرته والاستشهاد في سبيله(6).

---

(1) روح الثورات، ريموستاف لبون، ترجمة: عادل زعير، ص36، 37. بتصرف، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة.
(2) الفصل في الملل والنحل، ابن حزم الظاهري، ج1، ص93، 94، مكتبة السلام العالمية.
(3) [مزمار داود/ 4 : 4
(4) الملل المعاصرة في الدين اليهودي، ص23، 24. بتصرف، الدكتور/ إسماعيل راجي الفاروقي، ط1968.
(5) الاضطهاد الديني، توفيق الطويل، ص28. بتصرف.
(6) الاضطهاد الديني، ص29. بتصرف.

فالإنسان المتزمت يجزع أهله من كل مذهب يخالف عقيدتهم ويميلون إلى التنكيل بصاحبه، ومن ثم وجب أن يجرد غلاة المتعصبين منهم من كل سلطةٍ تيسر لهم أسباب الاضطهاد، وبهذا يبقى للإيمان جلاله مع تلافي ما يحتمل أن ينجم عنه من سوء(1).

قد ينصرف الناس عن الحق متى عميت بصيرتهم وكفوا عن النظر الصحيح، ولكنه لا يلبث أن يبتدي لمن تهديهم إليه الفطر السليمة ويجتذب إليه الأعوان، يتكاثر عددهم بمرور الأيام، ويشتد إيمانهم في الدفاع عنه حتى يستقر أمره ويحتل مكانه في قلوب الناس، وإذا تولى السيف حماية الباطل بقي الباطل حينًا لا يلبث بعده أن يتداعى وتتكشف حقيقته للعيان(2).

فالإيمان المزيف الذي يقوم على عقيدة فاسدة مصادرها محرفة لا ينجم عنه إلا الشر والاضطهاد نحو الآخرين وهو الأمر الذي وقع فيه النصارى بسبب التحريف الذي ظهر واضحًا في الأناجيل المتنافرة والنصوص المتناقضة ومن ثم كان لها أثر كبير على عقولهم وقلوبهم مما أثمر عنه عدم التسامح مع المخالفين لهم محتجين بهذه النصوص المحرفة التي تدعو إلى إبادة الآخرين، وهو ما تدعو إليه نصوص العهد القديم في اليهودية ويحرض عليه فقهاء التلمود ويتبعه نصارى الغرب.

المبحث الثالث

التطبيق العملي لهذه الحقوق التي أقرها المسيح نحو الآخر في رسالته

لقد أوصى المسيح عليه السلام بأن يخرج كل واحدٍ منا من ذاته ويضع نفسه مكان الآخر، («فَكُلُّ ما أَرَدْتُم أَن يَفْعَلَ النَّاسُ لَكُم، اِفعَلوهُ أَنتُم لَهم: هٰذِه هِيَ الشَّريعَةُ والأَنبِياء)3 ، ثم يقول: ما هو (خير للآخر) يصبح المقياس لما هو مطلوب مني مقياس الوصايا(4). ويصف غوستاف لبون هذا التسامح فيقول: "وهذا التسامح الحسن نظريًّا والسيء عمليًّا لم ينشا عنه غير إيغار صدور رجال الحزبين فاضطهد البروتستانت الأقوياء فرنسا الكاثوليك لكي يترك هؤلاء عقيدتهم وكانوا ينهبونهم وينهبون كنائسهم عندما يحبط عملهم، وقد أصاب البروتستانت نظير ذلك في الأمكنة الأكثرية الكاثوليك، وقد نشأ عن هذه الأحقاد حروب دينية ضربت فرنسا بالدم زمنًا طويلًا، فمدنها دُمرت والدماء سُفكت ولسرعان ما اتصف هذا النزاع بالقسوة والوحشية الخاصة بالوقائع الدينية والسياسية.

أبيد الشيوخ والنساء والأطفال، وصار رئيس البرلمان البارون "دوبيد" مثالًا يقتدى به لقتله في عشرة أيام ثلاثة آلاف شخص وتدميره ثلاث مدن واثنتين وعشرين قرية، وكان "مونلوك" يطرح أتباع "كلفن" في الآبار حتى تمتلئ. ولم يفعل البروتستانت أقل من ذلك، فكانوا يعتدون على كنائس الكاثوليك ويتطاولون على القبور والهياكل كتطاول رجال العهد من بعدهم على قبور الملوك.

أخذت تلك الحوادث تفكك عرى فرنسا فأصبحت في أواخر عهد هنري الثالث جمهوريات صغيرة مستقلة متشاكسة(5).

ويقول المطران جورج خضر: "لما يئست الكنيسة الغربية الكاثوليكية من مصالحة الشرق الأرثوذكس صممت على تفتيته في شتى الأمم، وعملت على إفنائه بكل طرق القمع والإغراء، وبدأت الدول الكاثوليكية تدمر الأديرة، وتذبح الأرثوذكسيين المذبحة الأخيرة التي قضت على عددٍ يتراوح بين 300: 700 أرثوذكسي تمت في يوغوسلافيا.

وفي عهد الطاغية "نيرون" أنه أمر بإحراق روما ليستمتع برؤيتها، وكابد المسيحيون من جراء غضبهم عليه لبَس بعضهم جلود الوحوش وألقى الكلاب تنهش جسمه، وطليت أجسام بعضهم بالقار والشمع مما يقبل الالتهاب ثم أشعلت النار فيهم أحياء(6).

---

(1) المرجع السابق، ص29. بتصرف.
(2) المرجع السابق، ص42. بتصرف.
(3) إنجيل[متى: 7/ 12].
(4) مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، تأليف أ. د/ مي أبو الفضل، أ. د/ نادية محمود مصطفى، تحرير: أ. د مي أبو الفضل، د/ رقية العلواني، والأب كريستيان فان نيسين، ص85.
(5) روح الثورات الفرنسية- غوستاف ليون- ترجمة: عادل زعيتر، ص35، مؤسسة هنداوي للنشر.
(6) الاضطهاد الديني، توفير الطويل، ص48. بتصرف.

الحفاظ على مال الآخر في رسالة المسيح:

لقد أوصى المسيح عليه السلام في رسالته بالحفاظ على مال الآخر فيقول: (لا تسرقوا)، وهنا يتبين لنا مدى الاهتمام بالمحافظة على حقوق الآخر المالية وممتلكاته وأنه ليس لأحدٍ حق التصرف أو الاعتداء على مال الآخر. ويقول صاحب علم اللاهوت النظامي: "إذا كانت الوصية تنهى عن تخصيص مال الغير لخدمتنا أو فائدتنا بطريقةٍ تخالف الاستقامة أو العدل وكان ذلك التخصيص سرقة في عيني الله كانت السرقة أخطر تعدٍّ على الوصايا العشر"(1).

جاء في إنجيل "متى": "«لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ، وَلاَ لأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتِ الْحَيَاةُ أَفْضَلَ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْجَسَدُ أَفْضَلَ مِنَ اللِّبَاسِ؟" ("تَأَمَّلُوا الْغِرْبَانَ: أَنَّهَا لاَ تَزْرَعُ وَلاَ تَحْصُدُ، وَلَيْسَ لَهَا مَخْدَعٌ وَلاَ مَخْزَنٌ، وَاللهُ يُقِيتُهَا. كَمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلُ مِنَ الطُّيُورِ لكِنِ اطْلُبُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللهِ وَبِرَّهُ، وَهذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ.2

وفي إنجيل متى: ("«لاَ تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا عَلَى الأَرْضِ حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالصَّدَأُ، وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ."3

أما الواقع العملي لهم: ذكر المطران "برتلومي" أن القبطان الأسبان جمعوا الأشراف من الهنود في مملكة غواتيمالا وطلبوا منهم أن يسلموهم الذهب، فلما لم يجدوا عندهم شيئًا منه أمر القبطان جنوده بإحراقهم من غير ذنب(4)، وهذا ما يخالف الايمان بالمسيح.

ومن النصوص التي تحث على كراهية الآخر في المسيحية ما جاء في إنجيل لوقا: ("«إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا، فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا." (5).

فنحن أمام سلسلةٍ من التناقضات للأناجيل المسيحية كلها، فلا نجد فيها حقيقةً خالصةً، لهذا نجد أن العلماء في القرون الأولى من الميلاد صرحوا بأن الأناجيل حرَفت أكثر من مرة، فقد كان لاسلسوس هو من علماء المشركين الوثنيين يصيح في القرن الثاني بأن المسيحيين بدلوا أناجيلهم ثلاث مرات أو أربع مرات، وأن "فانس" هو من علماء فرقة "ماني"، كان يصيح في القرن الرابع إبان هذه العهد الجيد، ما صنفه المسيح، ولا الحواريون، بل صنفه رجل مجهول الاسم، ونسب إلى الحواريين ورفقاء الحواريين ليعشَره الناس.

ونستخلص من ذلك:

إن نسبة الأناجيل إلى كاتبيها "متى"، و"مرقس"، و"لوقا"، و"يوحنا" مشكوك فيها.

يكاد يجمع العلماء أن يوحنا الحواري لم يكتب هذا الإنجيل المنسوب إليه.

فقد جاء في دائرة المعارف البريطانية: "أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور، أراد صاحبه مضاد الاثنين من الحواريين بعضها لبعض وهما القديسان "يوحنا" و"متى".

وقد ادعى هذا الكاتب المزور في الكتاب أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري ووضعت اسمه على الكتاب نصًّا مع أن صاحبه غير يوحنا يقينًا،

ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابط بينها وبين من نسب إليه، وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفي الذي ألف هذا الكتاب في القرن الثاني بالحواري يوحنا الصياد الجليل(6)، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى.

---

(1) علم اللاهوت النظامي- القس: جمس أنس ص174. بتصرف.
(2) [إنجيل متى: 25 – 27].
(3) [إنجل متى: 6 : 19].
(4) المسيحية والسيف، ص55، تأليف المطران بروتولومي دي لاكازاس ..
(5) [إنجيل لوقا: 14].
(6) بين الإسلام والمسيحية، أبو عبيدة الخوارزمي، تحقيق: د/ محمد شامة، ص67، 68.

لم يكن "لوقا" ولا "مرقس" من الحواريين الاثني عشر، وأغلب الظن أنه كان يهوديًّا بل كان صديقًا لبولس كما كان مرقس أيضًا، وهذا يعطي ضوءًا على ورود النص السابق في إنجيله إذا عرفنا أيضًا أن الأناجيل قد حرفت وبدلت أكثر من مرة، وأن بولس كان المصدر الرئيسي للتشريع المسيحي وعليه فيكون من الراجح أن مصدر هذا النص هو بولس الذي يقول علماء الأديان عنه:إنه نقل المسيحية من ديانةٍ محليةٍ خاصة باليهود إلى ديانة عالمية لجميع الأمم(1).

ويلاحظ الدارس المتتبع أن هذه الملاحظات الانتقادية الحديثة والمعاصرة التي يوجهها علماء النصارى للكتب المقدسة عندهم، تستند -كما ظهر لنا- إلى جانبين رئيسيين، هما:

جانب السند ونقده نقدًا علميًّا، والتحقق من انقطاعه، وعدم اتصاله بصاحب الشرع.

وجانب النص والمتن، ونقده نقدًا علميًّا كذلك، وإظهار تناقضه وتدابره وكما رأينا في الإشارات والمقتطفات السابقة التي نقلناها عنهم أن السند والمتن كليهما لا يثبتان أمام النقد والتمحيص العلمي المنهجي.

إن علماء الإسلام الذين كتبوا في مقارنة الأديان عمومًا وفي النصرانية ومصادرها خصوصًا هم الذين ارتادوا هذا الطريق وهم الذين وضعوا أصوله وعناصره، بل إن هذه الدراسات النصرانية حول الكتب المقدسة لم تخرج عن دائرة ما أثبته وبرهن عليه علماء الإسلام منذ القرن الثالث الهجري(2).

ولقد حذا بعض الباحثين اللاهوتيين المحدثين حذو العلماء المسلمين في دراسة الأناجيل واعترفوا بما فيها من تناقض وتدابر يستحيل قبوله أو الاعتذار عنه، وهناك مشكلات عديدة وتناقضات أخرى مثل:

خطأ استشهاده بنبوءات العهد القديم التي أسرف فيها غاية الإسراف، ومثل توقعه نهاية العالم قبل أن يدرك الموت معظم معاصري المسيح والذين استمعوا إلى تعاليمه، وقبل أن يكون ذلك الجيل الذي عاصر المسيح قد فنى.

وبالطبع، فإن شيئًا من ذلك كما يقول "جون فنتون"، وكما هو واقع لم يحدث كما توقعه "متى". على أن بعض الدارسين قد يأخذ على الجويني وابن حزم حدتهما وعلو نبرتهما في أوصافهما التي رميا بها "متى" وغيره من أصحاب الأناجيل، غير أن الباحثين اللاهوتيين المعاصرين يتكلمون نفس هذه اللغة: يقول "بوكاي" عن "مرقس" مثلًا: إنه الكاتب الغث، وعن "متى" المتناقض اللامعقول، وعن "يوحنا" المزور ... إلخ(3).

ويقول موريس بوكاي: وخلاصة كل هذا أننا لدى قراءتنا الإنجيل لا نوقن بأننا نتلقى كلام عيسى عليه السلام وأن الأب "بنوا" لا يتوجه لقارئ الإنجيل ويحذره من ذلك ويقدم له بديلًا فيقول: إذا كان لا بد لأحدنا من التخلي عن سماع الصوت المباشر لعيسى عليه السلام في أكثر من حال، فإنه يسمع صوت معلم الكنيسة ويثق بها وكأنها تكلمنا في مجده بعد أن كلمنا قديمًا عن الأرض.

فكيف يمكن التوفيق بين هذا التأكيد الصريح عن عدم أصالة بعض النصوص مع عبارة الوثيقة الإيمانية عن الوحي الإلهي في المجمع الفاتيكاني الثاني التي تؤكد لنا على العكس النقل الأمين لعبارات عيسى عليه السلام: "هذه الأناجيل الأربعة التي تؤكد الكنيسة دونما تردد تاريخيتها تنقل بأمانة ما كان عيسى عليه السلام ابن الله طيلة حياته قد فعله حقيقةً أو علمه الناس لخلاصهم الأبدي حتى اليوم الذي رُفع فيه إلى السماء". ويبدو جليًّا أن عمل المدرسة التوراتية في القدس قد وجه تكذيبًا قاسيًا إلى إعلان المجمع(4).

الزهد في المال وعدم التعدي على مال الآخرين:

---

(1) المرجع السابق، ص68.
(2) مقارنة الأديان، د/ عبد الله الشرقاوي، ص169. بتصرف.
(3) المرجع السابق، ص178. بتصرف.
(4) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم/ موريس بوكاي، ص98. بتصرف، ترجمة: الشيخ حسن خالد، المكتب الإسلامي.

جاء في إنجيل "متى": ("قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتْبَعْنِي»." فلما سمع الشاب بالكلمة مضى حزينًا لأنه كان ذا أموال كثيرة، فقال يسوع لتلاميذه: "وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضًا: إِنَّ مُرُورَ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ!»" 1

وفي الموسوعة الكنسية يقول "متى": (ويل لكم أيها القادة العميان القائلون من حلف بالهيكل فليس بشيء ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم وهو بهذا الحلف، ومن حلف بالهيكل فيمكنه أن يرجع عن حلفه، مع أن الهيكل أفضل بكثير ولكن لاهتمامهم بتحصيل المال علموا هذا التعليم الفاسد)(2).

وفي موعظة الجبل: ("طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ.". طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ،) ففي هذه العظة نجد المسيح عليه السلام يحث الإنسان إلى سلامة الصدر والقلب من الحقد والضغينة حتى ينتصر على شهواته ويكون في سلامٍ مع نفسه؛ فينعكس ذلك على الآخرين في مصالحهم والبر إليهم. يقول "يوحنا": "«سَلاَمًا أَتْرُكُ لَكُمْ. سَلاَمِي أُعْطِيكُمْ. لَيْسَ كَمَا يُعْطِي الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا. لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ وَلاَ تَرْهَبْ.")وهذا لم يلتزم به النصارى، فبالرغم من الزهد في مال الآخرين الذي تدعو له الأناجيل في العهد الجديد لرسالة المسيح عليه السلام لكن التاريخ يشهد بأن الأسبان سرقوا أكثر من 400 مليون غرام من الذهب في مقاطعة نيكاراغوا. ويقول الكاتب: وأعتقد أن هذا الرقم أقل من الحقيقي، ولم يبعث الأسبان من هذا الذهب المسروق إلى ملك قشتالة إلا النزر القليل، كذلك قتلوا 900 ألف إنسان فيها ثم قضى على الحكام الطغاة الذين تعاقبوا عليها إلى عام 1533 على كل ما تبقى من أهلها. وذات مرةٍ جاء زعيم قبيلة هندي إلى الحاكم وقدم له طوعًا وربماعن خوف حوالي 36 ألف غرام من الذهب، فلم يطب خاطر الحاكم الذي أسرَ في نفسه قائلًا: إذا كان هذا الهندي يعطيني كل هذه الكمية من الذهب طوعًا فلا شك في أنه يملك أضعاف أضعافها، وكان المسكين قد أعطى الحاكم كل ما يملك من الذهب، لكن الحاكم لم يصدق وأمر جنوده بتعذيبه لعله يعطي المزيد، وربما أن الزعيم الهندي لم يكن يملك فعلًا أكثر مما أعطى فقد استمروا في تعذيبه ثم ربطوه إلى وتد في الأرض وأشعلوا النار تحت أقدامه وظل على هذا الحال من العذاب إلى أن سال نخاعه على أخمص قدميه(3).

الأمانة مع الآخر والحفاظ على الذمة في المسيحية:

جاء في الشريعة المسيحية أن الصدق وعدم الكذب والحق وعدم الغش

أو التزوير والحفاظ على الذمة وعدم السرقة أو النهب والنزاهة وعدم الخداع والوفاء وعدم الخيانة وحتمية الأمانة في المسيحية لأن الله نفسه أمين وهي وصايا ملزمة كما يقولون. ففي إنجيل "متى": ("وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تُنَقُّونَ خَارِجَ الْكَأْسِ وَالصَّحْفَةِ، وَهُمَا مِنْ دَاخِلٍ مَمْلُوآنِ اخْتِطَافًا)(4).

وفي نصٍّ آخر يقول "متى": (فمَنْ هو العَبدُ الأمينُ الحَكيمُ الّذي أقامَهُ سيِّدُهُ علَى خَدَمِهِ ليُعطيَهُمُ الطَّعامَ في حينِهِ؟ طوبَى لذلكَ العَبدِ الّذي إذا جاءَ سيِّدُهُ يَجِدُهُ يَفعَلُ هكذا! الحَقَّ أقولُ لكُمْ: إنَّهُ يُقيمُهُ علَى جَميعِ أمْوالِهِ وَلكِنْ إنْ قَالَ ذلكَ الْعَبْدُ الرَّدِيُّ فِي قَلْبِهِ: سَيِّدِي يُبْطِئُ قُدُومَهُ. ، "فَيَبْتَدِئُ يَضْرِبُ الْعَبِيدَ رُفَقَاءَهُ وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ مَعَ السُّكَارَى يَأْتِي سَيِّدُ ذلِكَ الْعَبْدِ فِي يَوْمٍ لاَ يَنْتَظِرُهُ وَفِي سَاعَةٍ لاَ يَعْرِفُهَا، فَيَقْطَعُهُ وَيَجْعَلُ نَصِيبَهُ مَعَ الْخَائِنِينَ ، هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ ، الرب يدعونا أن نستعد لمجيئه كعبد ينتظر سيده يدعو رسوله وخدامه أن يكونوا أمناء على ما تسلموه من وزنات. ونلاحظ أن كل مالنا هو أمانة استودعها الله لنا وما نحن سوى وكلاء، ولا بد أن نكون أمناء، وأما من يحسب ما عنده

(1) إنجيل (متَّى 19: 24). [إنجيل متى: 19، فقرة: 22- 24] .
(2) الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد، ج1، ص525.
(3) المسيحية والسيف، ص40، 41. بتصرف، وثائق إبادة هنود القارة الأمريكية على أيدي المسيحيين الأسبان، رواية شاهد عيان- تأليف: المطران: بيرتولومي لاس كاراس- منشورات المعهد الدولي للدراسات الابتدائية.
(4) موسوعة الكتاب المقدس، الإصدار الرابع، ص43.

ملكًا له وينغمس في ملذاته بدعوى أن من حقه أن يستمتع بما عنده، فمثل هذا يحسب غير أمينًا فيما أمنه الله عليه)(1)

الأمانة في اللغة:

مصدر قولهم: أمن، يأمن، أمانةً أي صار أمين، وهو مأخوذ من مادة (أمن) التي تدل على سكون القلب. وقال ابن منظور: "الأمان والأمانة بمعنى، والأمانة ضد الخيانة، وقال ابن الأثير: "الأمانة جمع أمين، وهو الحافظ، وقوله عز وجل: {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا} 2 وقال الراغب: والأمن والأمانة في الأصل مصادر(3).

الأمانة في الاصطلاح: قال الكفوي: كل ما افترض الله على العباد فهو أمانة، وقال في موضع آخر: كل ما يؤتمن عليه من أموال وحرم وأسرار(4). وقيل هي خلق ثابت في النفس يعف به الإنسان عما ليس له بحق حتى القرآن الكريم تحدث عن أمانة الأنبياء في سورة نبي الله يوسف: {قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} (5).

ولقد ورد في السنة عن عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى مَالِ زَوْجِهَا، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ» وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ: «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ، وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»6 ، وإذا قارنا الواقع بما جاء في نصوص الإنجيل في آسيا الصغرى، نجد أن الصليبيين الذين احتلوها وهم جاؤوا إلى مائة ألف من الذين ذهبوا إلى هناك، وقد اقترف هؤلاء من الجرائم نحو المسلمين والنصارى ما لا يصدر عن غير المجانين من الأعمال الوحشية، وكان من أحب دروب اللهو إليهم قتل من يلاقون من الأطفال وتقطيعهم إربًا إربًا كما روت "آن كومنين" بنت قيصر الروم.

وكان من حقوق الترك أن يقابلوهم بالمثل؛ ولذا صار الترك يتصيدون الحيوانات المفترسة مقيمين من عظامهم هرمًا عظيمًا(7).

حق احترام الآخرين والإحسان إليهم:

ففي إنجيل "يوحنا" نجد فيه النص على احترام الآخرين: يقول في وصيته: (لماذا تنظُرُ القَذَى الّذي في عَينِ أخيكَ، وأمّا الخَشَبَةُ الّتي في عَينِكَ فلا تفطَنُ لها؟ أو كيفَ تقدِرُ أنْ تقولَ لأخيكَ: يا أخي، دَعني أُخرِجِ القَذَى الّذي في عَينِكَ، وأنتَ لا تنظُرُ الخَشَبَةَ الّتي في عَينِكَ)8 وفي تفسير هذا النص يقال لنا تأكيد المسيحية على حب الآخر واحترامه وأن تكره الشر والخطأ، فالمخطئون هم مجرد ضحايا للفهم الخاطئ ويكون ذلك باتباع النقاط الآتية: لا نحمل في قلوبنا كراهيةً لأحدٍ مهما أخطأ إلينا، لا تفرح مطلقًا بأي سوء يصيب من يسيء إلينا، علينا أن نرد الكراهية بالحب والإحسان(9).

وهذا مخالف لما اقترفه النصارى في حروبهم الصليبية، فالقس ريموند الأجيلي شاهد عيان على ما حدث في الحروب الصليبية في القدس فيقول: "شاهدنا أشياءً عجيبةً، إذ قطعت رؤوس عدد كبير من

---

1 [إنجيل متى: 24، فقرة: 45 -51].

(2) [سورة البقرة: 125].

(3) مختار الصحاح (2071/5/ محمد بن عبد القادر الرازي، ط660ه/ 1272م) دار العلم- بيروت، لسان العرب المحيط، لسان العرب ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (711ه/ 1311م)، دار الجيل- بيروت، 1998م، مختصر مفردات القرآن الكريم للراغب الأصفهاني الحسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني 68.

(4) الكليات الخمس للكفوي، ص176- 186.

(5) [سورة ء يوسف: 55].

(6) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب: الجمعة في القري والمدن، (5/2) (893).

(7) حضارة العرب، رغوستاف ليون، ص335. بتصرف.

(8)[إنجيل يوحنا: 97.

(9) تفسير الكتاب المقدس، ص165.

المسلمين، وقُتل غيرهم رميًا بالسهام وأرغموا على أن يلقوا أنفسهم من فوق الأبراج وظل بعضهم الآخر يعذبون عدة أيام ثم أُحرقوا في النار، وكنت ترى في الشوارع أكوام الرؤوس والأيدي والأقدام، وكان الإنسان أينما صار فوق جواده يسير بين جثث الرجال والخيل".

ويروي غيره من المعاصرين أدق من هذه وأوفى يقولون: "إن النساء كنا يُقتلن طعنا بالسيوف والحراب، والأطفال الرضع يُختطفون بأرجلهم من أثداء أمهاتهم ويُقذف بهم من فوق الأسوار أو تُهشم رؤوسهم بدقها بالعمد، وذُبح السبعون ألفا من المسلمين الذين بقوا في المدينة، أما اليهود الذين بقوا أحياء، فقد سبقوا إلى كنيسةٍ لهم وأُشعلت النار فيهم وهم أحياء.

واحتشد المنتصرون في كنيسة الضريح المقدس، وكانوا يعتقدون أن مغارةً فيها احتوت في يومٍ ما المسيح المصلوب، وفيها أخذ كلٌّ منهم يعانق الآخر ابتهاجًا بالنصر(1).

حق محبة الأقارب وعدم شهادة الزور عليهم:

جاء في إنجيل متى: (أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ)، ثم قال:

لَا تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ»(2).

وفي هذه النصوص تأكيد على الاهتمام بحقٍّ مهم من حقوق الآخر وهم المقربون للإنسان من الوالدين والاهتمام ببرهما وحق المودة للأقارب وإذابة أي خلافٍ أو شحناء بينهم وحماية الترابط الأسري من الانهيار والتفكك العائلي؛ وذلك لأهمية الأسرة في بناء العلاقات الإنسانية مع المجتمع البشري، وأهمية الصدق في المشاعر والمعاملة مع الآخرين في كل زمانٍ ومكان(3).

وقد جاء في إنجيل لوقا: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا، فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا."(4) ولا شك أن هذا النص يحث على كراهية الآخر وهم أقرب الناس من الوالدين والأقارب، وهذه مخالفة لا تقرها أي ديانة سماوية إلا إذا امتد إليها يد التحريف والتبديل، كما أن جميع الأنبياء المرسلين -وعلى رأسهم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم- يوصون ببر الوالدين، قال صلى الله عليه وسلم: «الْكَبَائِرُ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، أَوْ قَتْلُ النَّفْسِ وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ »(5)، وقال تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} (6)

إن الاسلام لا شك أعظم ديانةً على ظهر الأرض سماحةً وإنصافًا، نقولها بلا تحيز ودون أن نسمح للأحكام الظالمة بأن تلطخه بالسواد إذا ما نحينا هذه المغالطات التاريخية الآثمة في حقه والجهل البحت به، وأن علينا أن نتقبل هذا الشريك والصديق مع ضمان حقه في أن يكون كما هو(7).

هذه المقولة "لزجريد هونكة" لم تأت من فراغ، فلقد ظهرت الأناجيل بنصوص مختلفة، وكلما مرت عشرات من السنين ظهرت نفس الأناجيل بنصوص مخالفة لما عُرِفَت به من قبل، وبالمثل كان الحال مع رسائل التلاميذ(8).

إن مشكلة النص تعتبر بحق مشكلة المشاكل التي تشغل بال العلماء اليوم، والتي استحدثت بسببها دراسات وعلوم مثل النقد الذي يهدف أول ما يهدف إلى معرفه حقيقة النص الأصلي، فحين يمكن

---

(1) قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة: محمد بدران، ج4، المجلد الرابع (15)، ص25، طبعة: بيروت وتونس.

(2) [إنجيل متَى: 19 : 19].

(3) الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد، ج1، ص399. بتصرف، إعداد مجموعة من كهنة ماري مرقص القبطية الأرثوذكسية، مصر الجديدة.

4 [إنجيل لوقا: 14].

(5) رواه الإمام البخاري، كتاب: الإيمان، باب اليمين الغموس 137/8 "6675 "

6 [سورة الإسراء: 23].

(7) الله ليس كذلك، زجريد هونكة، ترجمة: غريب محمد، دار الشروق، مجلة النور الكويتية، الطبعة الأولى، ص101.

(8) المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب، ص39.

تحقيق ذلك تتحدد كثير من المواقف ويصبح في الإمكان بعث التوحيد في العقيدة المسيحية ويتحقق الأمل الذي يراود الكثير من المسيحيين وغيرهم من المؤمنين في الاتفاق على عقيدة مسيحية واحدة بدلًا من تلك العقائد المسيحية المختلفة التي عرفت -ولا تزال تعرف- منذ عُرف اسم المسيح إلى اليوم، والتي اصطبغت أغلب عهودها بصراعاتٍ دمويةٍ تمثل تطبيقًا معاكسًا لكل ما جاء به المسيح.

تقول دائرة المعرفة البريطانية إن النسخ الأصلية الإغريقية لكتب العهد الجديد فنيت منذ مدةٍ طويلةٍ، وفيما عدا بقايا من صعيد مصر، فإن كل النسخ التي استحدثها المسيحيون في الفترة التي سبقت مجمع نيقية قد غشيها نفس المصير(1).

ثم يقول: "الحق أن الله وحده يعلم حقيقة من كتب أسفار العهد الجديد، وحقيقة ما كتبوا، والله الذي أنزل الكتاب بالحق يعلم حقيقه إنجيل المسيح ما بقي منه ووصلتنا أخباره ومن طمست معالمه وعميت علينا أنباؤه في غيابات الجهالة والنسيان"(2).

يقول عبد الله الترجمان: عندما سئل القسيس: "ما تقول في دين هؤلاء النصارى؟ فقال لي: يا ولدي، لو أن النصارى أقاموا على دين عيسى الأول لكانوا على دين الله؛ لأن عيسى وجميع الأنبياء دينهم دين الله، ولكن بدلوا وكفروا"(3).

ويقول فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد أبو زهرة: "إن الأناجيل الأربعة لم يحملها المسيح ولكنها كُتبت من بعده وبالتالي فليست هي الوحي الذي أُوحي إليه، وهي كما تشتمل على أخبار المسيح من وقت ولادته حتى وقت الحكم عليه بالموت صلبًا وصلبه بالفعل على حد اعتقادهم، فإنها أيضًا تشتمل على أخبار يوحنا المعمدان حتى قتله"(4).

إن العهد الجديد كتابٌ غير متجانسٍ، ذلك أنه شتات مجمع، فهو لا يمثل وجهة نظر واحدة تسوده من أوله إلى آخره، لكنه في الواقع يمثل وجهات نظر مختلفة، وأن الانسان لا يستطيع أن يتتبع بدقة ملحوظة الاتجاهات المختلفة التي صار فيها التفكير المسيحي كما يتتبع إلى حد ما التوسع الجغرافي والعددى للكنيسة، وكذلك مراحل التطور الأولى لعقيدة الكنيسة وأخلاقياتها وعباداتها وتنظيماتها(5).

وجاء في إنجيل لوقا: (وَلِمَاذا لا تَحْكُمُونَ بِالحَقِّ مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِكُم؟ حِينَ تَذْهَبُ مَعَ خَصْمِكَإِلى الحَاكِمِ، إِجْتَهِدْ في الطَّرِيقِ أَنْ تُنْهِيَ أَمْرَكَ مَعَهُ، لِئَلاَّ يَجُرَّكَ إِلى القَاضِي، وَيُسَلِّمَكَ القَاضِي إِلى السَّجَّان، وَالسَّجَّانُ يَطْرَحُكَ في السِّجْن. أَقُولُ لَكَ: لَنْ تَخْرُجَ مِنْ هُنَاك، حَتَّى تُؤَدِّيَ آخِرَ فَلْس".)(6)

ويعترف لوقا أنه لم ير المسيح، ولم يكن من تلاميذه. ويقول جون لوريمر: "لم يصلنا إلى الآن معرفةٌ وافيةٌ عن الكيفية التي اعتبرت بها الكتب المقدسة كتبًا قانونيةً، فإذا كانت فُرضت بالقوة، فمن الذي فرضها؟ ولمصلحة من؟ وإذا لم تكن هناك معرفة عن كيفية اختيارها لتكون كتبًا قانونية فكيف تكون مقدسة؟(7)

وقد نقل الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار عن دائرة المعارف الفرنسية أن الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى النصارى ما ظهرت إلا بعد ثلاثة قرون من تاريخ المسيح، وهي متعارضة متناقضة مجهولة الأصل والتاريخ، بل وقع الخلاف بين مؤلفيها واللغات التي ألفوا بها كما أن نسخها الأصلية قد فقدت.

وإن الأب عبد الأحد داوود المطران المسيحي الآشوري الذي اعتنق الإسلام يقرر في كتاب "الإنجيل والصليب": أن الأناجيل المعتبرة الآن لم تكن معترفًا بها قبل القرن الرابع الميلادي، لذلك تراه يقول:

---

(1) المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب ، ص40.
(2) المرجع السابق، ص42.
(3) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، لأبي محمد عبد الله الترجمان الميورقي، تحقيق وتعليق: عمر وفيق الدالموق، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى 1408ه- 1988م.
(4) النصرانية والإسلام، ص26، المستشار عزت طهطاوي، الطبعة الثالثة.
(5) مقامع الصلبان، ص15، أحمد بن عبد الصمد الخزرجي، حققه: عبد المجيد الشرفي.
(6) [إنجيل لوقا: 12- 54- 59].
(7) اعتراضات على العقيدة المسيحية، ماكينون .ص 42

إن هذه السبعة والعشرين سفرًا، أو الرسالة الموضوعة من قِبل ثمانية كتب لم تدخل في عداد الكتب المقدسة باعتبار مجموعة هيئة رسمية إلا في القرن الرابع بإقرار مجمع نيقية العام وحكمه سنة 325 ميلادية، لذلك لم تكن هذه الرسائل مقبولة ومصدقة لدى الكنيسة وجميع العالم العيسوي قبل التاريخ المذكور ثم جاء من الجامعات العيسوية في الأقسام المختلفة من كرة الأرض ما يزيد عن ألفي مبعوث روحاني ومعهم عشرات الأناجيل من أكثر من أربعين أو خمسين إنجيلًا، وتم انتخاب الرسائل لا تعد ولا تحصى وصدق عليها، وكان اختيار كتب العهد الجديد على أساس رفض الكتب المسيحية المشتملة على تعاليم غير موافقة لعقيدة نيقية وإحراقها كلها.

ويعلق على هذا الشيخ محمد أبو زهرة: إن الأناجيل الأربعة لم يحملها المسيح ولكنها كُتبت من بعده، وبالتالي فليست هي الوحي الذي أوحي إليه، وهي كما تشتمل على أخبار المسيح من وقت ولادته حتى وقت الحكم عليه بالموت صلبًا وصلبه بالفعل ـعلى حد اعتقادهم-فإنها أيضًا تشتمل على أخبار يوحنا المعمدان حتى قتله (1).

المبحث الرابع

قضية التمييز العنصري نحو الآخر في العهد الجديد والتنصل منها

مفهوم التمييز في اللغة: إن لفظ "التمييز" في اللغة يعني التمييز من ماز الشيء أي عزله وفرزه، وكذا ميز تميزًا، فإن ماز وتميز واستماز كله بمعنى واحد، يقال امتاز القوم إذا تميز بعضهم على بعض، ويقال ماز الشيء عن الطريق أي نحاه وأزاله، وماز فلانٌ أي فضله عليه، امتاز: انفصل عن غيره وانعزل، ويقال استماز عن الشيء تباعد عنه، واستماز القوم تنحى عصبة منهم من ناحية ، وقوة التمييز تعني قوة الحكم الفاصل(2).

وعرفها دكتور سعدة أبو عبد الله بأنها شعور إنسان ما بتفوق عنصره البشري الذي ينتمي إليه سواء على مستوى اللون أم الجنس أم على مستوى خصائص الإنسانية، وينشأ بالضرورة من هذا الشعور غير السوي سلوك عدواني عنصري لأنه يعزز من اعتقاد المرء بوجود تمايز بينه وبين الغير أو الآخر مما يستوجب سيادة النظرة بوجود تفاوتٍ بينه وبين مثيله الإنسان، ثم لتكبر تلك النظرة المرضية إلى النظرة بالتفاوت بين الأجناس فيقرر من يؤمن بالنظرة العنصرية أن جنسه أعلى من جنسٍ آخر؛ مما يبرر له السيطرة عليهم والانتقاص من إنسانيتهم والحط من قيمة كرامتهم الآدمية، وكذلك الاعتداء عليهم لكي يذعنوا لقدرهم التاريخي بأنهم الأقل قيمةً ومكانةً، وبالتالي الأقل بجدوى الحياة(3).

وقد ورد في العهد القديم ما يحث على مقاومة العنصرية، ويشير إلى ذلك البطريرك "إغناطيوس أفرام" الثاني وأهمية الأخوة في العلاقات الإنسانية فيقول: "يتولى النبي أشعياء أحد أنبياء العهد القديم ويقطعون فيهم محاريث ورماحهم مناجل ولا ترفع أمة على أمة سيفًا ولا يتدربون على الحرب فيما بعد"(4).

وفي إنجيل لوقا: (رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَعْصِبَ مُنْكَسِرِي الْقَلْبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَسْبِيِّينَ بِالْعِتْقِ، وَلِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ) .

وإذا ما قارنا هذه النصوص بالسلوك الاجتماعي العملي للدول الغربية المسيحية نجد أن الفرق شاسعً وشتان بين ما يقرءونه في الكتاب المقدس وبين ما نراه من مجازر وعنصرية بغيضة لا تصدر إلا من شعبٍ وثني لم يبعث له رسول أو نبي وليس له كتاب مقدس يستمد منه أفعاله وأقواله المدعومه بالإيمان في كل العصور حتى وقتنا الحالي، فقد وقع المسيحيون في الغرب في سلسلةٍ من الاضطهاد والتسلط على غيرهم من الأمم التي سيطروا عليها بوحشية والتعدي على حقوقهم الآدمية في التاريخ

(1) كتاب النصرانية والإسلام، المستشار محمد عزت الطهطاوي، ص25، 26. بتصرف، الطبعة الأولى، 1986م.
(2) لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، المشهور بابن منظور، المجلد: 6، القاهرة- دار المعارف، د س ن، ص4307، تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري.
(3) الأصول التاريخية لحماية الأقليات، كاملة محمد غريب، ص90.
(4) سفر أشعياء (2 : 4)، وأيضًا سفر ميخا (4 :3).

مما نتج عنه فساد عظيم في شتى بقاع الأرض نحو الآخر والإصرار على التخلص منهم بكل أنواع المجازر التي قاموا بها تجاه غيرهم.

لقد اتبع المسيحيون في غرناطة اضطهاد المسلمين الذين يعيشون معهم وتحت حكمهم فقاموا ضدهم بكل وسائل التعذيب من أجل إجبارهم على الخروج من البلاد وكانوا يعاملون كرقيق، وفي حالة خروجهم يتم ملاحقتهم ثم حرمانهم من الحق في ممارسة شعائرهم الدينية وتعتبر جريمة كبرى لا تغتفر في ظل محاكم التفتيش وتستلزم محاكمةً وعقابًا.

كم فرضت ضرائب باهظة عليهم بالإضافة إلى تقييد حركة المسلمين في الإقامة والانتقال حتى يسهل القضاء عليهم في حاله قيامهم بثورات وإجبار المسلمين على تسليم أبنائهم التي تتراوح أعمارهم ما بين (5- 12) سنة إلى الكنيسة لكي يتم تربيتهم تربية خاصة، وكان الهدف من ذلك هوجعلهم جواسيس عليهم وأخيرًا حرمانهم من أبسط حقوقهم وهو حرمانهم من الاغتسال وهدم الحمامات العامة التي يستخدمونها لإجبارهم على التنصير، كما أجبرت المسلمات على الزواج من المسيحيين وكذلك الرجال من المسلمين الزواج من المسيحيات لتسهيل تنصيرهم أيضًا(1)، قال تعالى: {وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ}2

عندما خرج ملك غرناطة أبو عبد الله الصغير منها تم عمل معاهدة بينه وبين الملك فرديناند والملكة إيزابيلا وحرروا الشروط القسم بدينهم وأعراضهم أن يصونوا المعاهدة إلى الأبد، وفي هذه المعاهدة امتيازات كفيلة أن تضمن للمسلمين في الأندلس ممارسة حريتهم ولغتهم وشعائرهم الدينية وعادتهم باستثناء حمل الذخائر الحربية، ثم تبين بعد ذلك نكث الملكين الكاثوليكيين بالعهد ونقضا الشروط التي أقسما على تنفيذها حرفيًّا إلى أجل مسمى، وهذا لأنها معاهدة مع الآخر من المسلمين وقاموا بانتداب "خمنيس" ليلاحق المورسكيين والعائلات المسلمة ذات أصول أسبانية وكيف أساء معاملتهم وانتهك حرماتهم وشرد الكثيرين منهم وحملهم على التنصير القسري، وحظر عليهم كل ما لهم من حقوقٍ بموجب معاهدة التسليم إلى أن أدت أعمال الكردينال في نتيجتها إلى استفزاز المورسكيين وهبوا بانتفاضاتٍ عدة(3).

ومن الأساليب التي استعملت ضد مسلمي الأندلس أخذ أطفالهم الذين تتراوح أعمارهم ما بين (5 – 12) سنة ليربوا تربيةً خاصة في المعاهد المسيحية.

ومن وصايا المسيح ضد التمييز العنصري:

("لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ (4).

(إِذَا كَانَ اللهُ غَيرَ مُتَحَّيز وَيُحِبنَا دُوَن تَمييز فَعَلينَا أَن نُحِبَ الآخَرِينَ بِنفسِ ذلَكَ المُستَوىَ العَالِي مِن المَحَبة)(5)

(مَا نفعلَه بِأَحدِ أخوَتِه الأَصَاغِر فإنِنا نَفعلَه بِهِ هُوَ، وَإِن عَامَلنَا إنسَان مَا بكَرَاهِيَةٍ فَإنَنَا نُسِيء إلَى شخَص مَخلُوقٍ عَلَى صُورةِ اللهِ ، وَنجرَح شَخصًا يُحِبَهُ الله) [إنجيل متى/ 25 : 40 و45].

وفي رسالة أفسس: (وَكُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ، مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ ٱللهُ أَيْضًا فِي ٱلْمَسِيحِ.) [رسالة أفسس/ 4 : 32].

وفي إنجيل يوحنا : (وَمَنْ لاَ يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ، لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ [إنجيل يوحنا/ 4 : 8].

---

(1) مجلة حقوق حلوان للدراسات القانونية والاقتصادية، ص264. بتصرف، إمداد الباحثة كاملة محمد غريب، الأصول التاريخية لحماية الأقليات.

2 [سورة الرعد: 25].

(3) التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثولوكين، ص55. بتصرف، تأليف: د. محمد عبده حتاملة، الطبعة الأولى، 1440ه – 1980م، عمان- الأردن.

(4)[رسالة غلاطية/ 3 : 28]

(5)[إنجيل يوحنا/ 4 : 8]

أيضًا قوله: (اللهُ مَحبّةٌ مَنْ ثَبَتَ في المَحبّةِ ثَبَتَ في اللهِ وثَبَتَ اللهُ فيه)1 ويقول لوقا: (أَيُّ بَيْتٍ دَخَلْتُمُوهُ فَقُولُوا أَوَّلًا: سَلاَمٌ لِهذَا الْبَيْتِ فَإِنْ كَانَ هُنَاكَ ابْنُ السَّلاَمِ يَحُلُّ سَلاَمُكُمْ عَلَيْهِ، وَإِلاَّ فَيَرْجِعُ إِلَيْكُمْ.) [إنجيل لوقا/ 5 : 10].

وفي إنجيل متى يقول: (طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ، لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ).

وهذه النصوص كلها ركن مهم من أركان الشريعة المسيحية لعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان، ولم تميز بين الدين ولا الوطن ولا المذاهب ولا الجنس

ولا اللون، وهو ما اتفقت عليه جميع الشرائع السماوية. وقال تعالى في كتابه الكريم: {... إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...} ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى»2.

إن الفكر الإسلامي قمة شامخة وإن ما سواه حافل بالانحراف والوثنية والتعدد، ومثل هذا ظهر عندما تدارسنا معجزات الأنبياء والكتب المقدسة والتشريع وغير هذه من القضايا(3)، فعلم مقارنة الأديان يخرج منه ثروة فكرية رائعة تبرز جمال الإسلام وتسامحه مع الآخر ورجحانه على سواه من الأديان السماوية وغيرها، فلم ينتشر الإسلام بالسيف إذًا، بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قهرت العرب مؤخرًا كالترك والمغول، وبلغ الإسلام من الانتشار في الهند التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل ما زاد معه عدد المسلمين على 50 مليونًا وليس فيما يوهم به الإسلام من الجبرية ما يزيد خطرًا على ما رددنا عليه، وليس في آي القران التي ذكرناها آنفًا من الجبرية ما ليس في كتب الأديان الأخرى كالتوراة مثلًا، وهناك علماء لاهوت يعترفون بأن مجرى الحوادث تابع لسننٍ لا تتبدل، ثم يقول "غوستاف لبون" بأن المصلح الديني لوثر يحتج على اختيار الإنسان وإرادته بنصوص الكتاب المقدس التي لا تُحصى، وإن شئت فقل بكل ما ورد في الكتاب المقدس.

وكتب جميع الأمم الدينية المفعمة بالجبرية التي يسميها القدماء بالقدر، ووضع القدماء القدر الذي لا راد لحكمه على رأس كل أمرٍ عادين سلطته مطلقة لا مناص(4).

إن القرآن الذي أمر بالجهاد متسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، وقد أعفى البطاركة والرهبان وخدمهم من الضرائب، وحرم محمد صلى الله عليه وسلم قتل الرهبان لعكوفهم على العبادات، ولم يمس عمر بن الخطاب النصارى بسوءٍ حين فتح القدس، ولكن الصليبيين قتلوا المسلمين وحرقوا اليهود بلا رحمة وقتما دخلوها.

وقال الراهب "ميشود" في كتابه "رحلة دينية" في الشرق": "ومن المؤسف أن تقتبس الشعوب النصرانية من المسلمين التسامح الذي هو الإحسان بين الأمم واحترام عقائد الآخرين وعدم فرض أي معتقدٍ عليهم بالقوة"(5).

لقد أمر الله تعالى بالعدل وحث الناس على التحلي به، وكم يسهل على المرء أن يكون عادلًا خاصةً مع من يشترك معهم في الدين والعقيدة، ولكن يصعب على المرء أحيانًا أن يتصف بالعدل مع من يختلف معه في الدين والعقيدة، وهذا هو التحدي والبرهان الأكبر (6)، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى } (7)

---

1 [رسالة يوحنا الأولى/ 4 : 16].
(1) سورة الحجرات: 13 ، مسند أحمد بن حنبل (1882/3) (94044).
(2) اللاهوت العربي، يوسف زيدان، ص26.
(3) حضارة العرب، غوستاف لبون، ص131، 134، 135. بتصرف.
(4) المرجع السابق، غوستاف لبون، ص138.
(5) شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات، إرساء دعائم التسامح والتعايش من خلال التكافل الاجتماعي في عهد عمر بن عبد العزيز. www.dine.net
(6) [سورة المائدة: 8].

إن الخليفة عمر بن عبد العزيز لم يضيق على اليهود ولا على النصارى في معتقداتهم، قال تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}(1)، ولم يُكره أحدًا منهم على تغيير دينه والدخول في الإسلام؛ لأن التعدد والاختلاف سنة الله في كونه، فالله تعالى كما خلق البشر على أجناس شتى وألوان شتى خلقهم أيضًا على شرائع مختلفة ،

ولو شاء الله لجعل الناس أمةً واحدةً، قال تبارك وتعالى: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا2...} .

هذا وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من ظلم أهل الذمة والمعاهدين والمستأمنين من غير المسلمين، بل سيكون النبي صلى الله عليه وسلم حجيج من ظلمهم يوم القيامة، قال صلى الله عليه وسلم: « أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهَدًا أَوِ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»»(3)، وحرم النبي صلى الله عليه وسلم دماءهم وشدد الوعيد لمن فعل ذلك حين قال: « «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما»(4).

إن الأصل في الأديان أنها رسالة الحب إلى النزَاعين للحقد والبغضاء، ودعوة السلام إلى التوَاقين للقتال الراغبين في إهراق الدماء، ونداء الرحمة والتسامح إلى المشَائين بالقسوة والانتقام، وإذا كانت المسيحية قد فاقت الأديان كلها في إكراه الناس على اعتناقها فقد ارتكبت فظائعها باسم المسيح الذي يقول في خطبته على الجبل: (سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ) (5)

فالإيمان لا يستلزم التعصب ولا يقتضي التزمت نحو الآخرين إلا عند من صدأت قلوبهم وأظلم الجهل عقولهم وأكلت الإحن والأحقاد صدورهم (6).

إن الله تعالى خلق الناس كلهم من نفس واحدة لا يفضل أحدهم على غيره في أصل الخلق والتكوين ولحكمةٍ أرادها جعلهم مختلفين في اللغة واللون والعبادات والثقافات التي أفرزت التمايز بين الشعوب، وهي كلها عرضية ليس لها علاقة بتفضيل عنصرٍ على غيره أو جنس على آخر، فقد أشارت بحوث علم النفس للجامعات وعلم النفس الاجتماعي إلى أن التزاوج والغزو والهجرات وما يتبعها من انتشار ثقافي يجعل من العسير بل من المستحيل أن تتكلم عن جنس نقي مغلق يعيش ضمن ظروف جغرافيةً ومكانية ثابتة، ذلك أن الأمم تتغير تبعًا للتطور التاريخي، ويعد التعليل الذي يستند إلى الطبيعة الثابتة للأجناس عنوانًا على الجهل بحقائق الأشياء.

إن بحوث علماء الوراثة أكدت أن وحدة الموروثات في التوآم التي خرجت من بويضة واحدة لا تستلزم وحدة النتائج في اختبارات الذكاء، في حين أن وحدة البيئة الحضارية وظروفها تستلزم وحدة النتائج، فالفرد بحسب الدور الذي يضطلع به في المجتمع والملابسات التي تحيط به، فليس هناك طبيعة إنسانية ثابتة، بل إن موقف الفرد ودوره في المجتمع إنما يتحدد لتشابك عوامل البيئة والوراثة معًا(7).

---

(7) [سورة البقرة: 256]

(2)(المائدة: 48).

(3) رواه أبو داود في سننه، كتاب الفرائض ، باب في الذمي يسلم في بعض السنة أعيه جزية؟ 4/ 658 ط 3052 "حديث رقم 3052

(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية والموادعة، باب: إثم من قتل معاهدًا بغير جرم، حديث رقم 3166.عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما

(5) انجيل متي (43/5).

(6) قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، د/ توفيق الطويل، ص26 – 28. بتصرف، الطبعة الأولى، 1412ه – 1991م.

(7) مجلة جامعة دمشق، التفاضل بين البشر في الجنس والعرق والوراثة، دراسة مقارنة، ص516، 517، تأليف: د/ إبراهيم أحمد ديبو، كلية الشريعة- جامعة حلب.

فالاهتمام بالإنسان وتقرير حقوقه يلازم الإنسان ولا يرتبط بشعبٍ دون آخر ولا بأرض خاصة ولا بعصرٍ معين يتجاوز حدود الإقليم والأرض والجنس واللون والزمان والمكان، وبناءً علَى وحدة الإنسانية وحده الخلق سوَى الإسلام بين الناس في المعاملة وشرع لهم الأحكام التي تعمهم جميعًا دون أن يخص طائفةً أو جماعةً أو فئةً أو قومًا أو جنسًا أو لونًا، وقد قرر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، ففي مسند الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس في وسط أيام التشريق فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ إِلَّا بِتَقْوَى اللَّهِ 1» فالحديث يقرر الوحدة الإنسانية والتساوي بين البشر، فالخالق هو رب العالمين وحده الذي يستحق العبادة(2)فالنفور من الآخر وسائر مظاهر عدم المساواة ينبغي -أولا وقبل كل شيء-أن يعالج الأوهام العقلية التي أفرزت مفاهيم زائفةً على مر السنين عن تفوق جنسٍ على آخر من الأجناس البشرية، ففي جذور هذا التعصب العرقي تتبع الفكرة الخاطئة بأن الجنس البشري مكوَن من حيث الأساس من أجناس منفصلة وطبقات متعددة، وإن هذه الجماعات البشرية المختلفة تتمتع بكفاءات عقلية وأخلاقية وبدنية متفاوتة تستوجب أنماطا مختلفةً من التعامل.

والحقيقة أنه لا يوجد سوى جنس بشري واحد، فنحن شعب واحد يسكن كوكبًا واحدًا، فنحن أسرة بشرية مرتبطة بمصيرٍ مشتركٍ ومرهونة بأن تكون كنفسٍ واحدةٍ، وإن الاعتراف بهذه الحقيقة هو الترياق الأمثل لمرض الخوف من الآخر والعنصرية البغيضة، وعلينا أن نؤمن بذلك(3)، لقد أرسى عمر بن عبد العزيز-رحمه الله- دعائم التسامح والتعايش من خلال مبدأ التكافل الاجتماعي الذي أسسه مع غير المسلمين، وقد ترك ذلك وقعًا طيبًا وأثرًا إيجابيًّا في نفوسهم حتى إنه لما توفي -رحمه الله تعالى- أثَر ذلك في بعضهم، فقد كان عند بعضهم بمثابة النور، فلما مات انطفأ ذلك النور وتلاشى، عن الأوزاعي قال: "شهدت وفاة هذا الرجل؟، قال: فقلت له: نعم، فأرخى عينيه فبكى سجامًا، فقلت له ما يبكيك ولست من أهل دينه؟ فقال: إني لست أبكي عليه، ولكن أبكي على نورٍ كان في الأرض فانطفأ.

إن ذلك النور الذي انطفأ، وذلك الرجل الصالح -كما سماه ملك الروم- استطاع بحكمته وحلمه وعدله أن يجعل من مجتمعه كتلة واحدة منسجمة على الرغم من الاختلاف الجوهري الذي كان بين المسلمين وغيرهم، إلا أن عمر -رحمه الله- استطاع أن يستثمر حكمته ورشده في التقريب بين رعيته مما جعل ملوك البلدان غير الإسلامية تشهد له بالصلاح والعدل والإنصاف، وهذا يجسَد لنا عالمية الرسالة التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم وشموليته.

فالإسلام في تشريعه للنظام التكافلي الإنساني إنما شمل أهل الذمة وغيرهم، ذلك النظام الذي جعل الذمي يتحول من دافعٍ للجزية إلى إنسانٍ مكفول اجتماعيًّا من طرف الدولة الإسلامية والمجتمع المسلم(4).

فالشريعة تأبى الظلم في كل صوره، والنهي عن ذلك واضحٌ في آيات وأحاديث كثيرة وهو مرفوض يوم القيامة، يقول الله تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا} 5، فلا تظلم نفس يوم القيامة أيًّا كانت هذه النفس مؤمنة بالله أو كافرة، مسلمة كانت أو نصرانية أو يهودية أو غير ذلك من الملل الأخرى(6). ومن ثم، سنوضح حق الآخر في القرآن والسنة ومقاومة التمييز العنصري كما أقرته الشريعة الإسلامية.

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في المسند، (1882/3) (94044).
(2) مجلة جامعة دمشق، ص519، 520. بتصرف.
(3) إن التفرقة العنصرية مرض لا يصيب البشر، بل يصيب العقل البشري، ورقة بحثية قدمتها الجامعة البهائية عن العنصرية والتمييز العنصري لمؤتمر دربان- جنوب أفريقيا- جنيف، 20 – 24 إبريل 2009.
(4) إرساء دعائم التسامح والتعايش من خلال التكامل الاجتماعي في عهد عمر بن عبد العزيز، ص10، بتصرف.
(5) [سورة الأنبياء: 47].
(6) أخلاق الحروب في السنة النبوية، ص30. بتصرف، الطبعة الأولى.

الفصل الثاني

القواعد العامة للعلاقات الإنسانية في الإسلام
واشتمل على اربعة مباحث، هي:
المبحث الأول: الإخاء مفهومه ومظاهره.
المبحث الثاني: حق الآخر في القرآن والسنة.
المبحث الثالث: مقاومة الفساد في المجتمع الإسلامي والإصلاح بين الناس.
المبحث الرابع: أهمية العيش المشترك وعدم التمييز بين المسلمين وغيرهم.

القواعد العامة للعلاقات الإنسانية في الإسلام

لقد عرض الإسلام من خلال مصادره الأساسية القرآن والسنة قانونًا عامًّا يؤكد الوحدة الإنسانية وأهمية الآخر في حياة الإنسان، وذلك من خلال الرد على كل فكرةٍ تؤسس أو تدافع عن العنصرية أو كراهية الآخر، وكان ذلك قانونًا نظريًّا تمَ تطبيقه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم من خلال أخوة الإسلام، وظل هذا القانون هو السائد في أغلب المراحل التاريخية لانتشار الإسلام، وذلك لإرساء دعائم التسامح والتعايش بين المسلمين وغيرهم، وهذه المنظومة التي تقوم على التكافل الاجتماعي التي دعا إليه ديننا الحنيف لم تعن بالمسلمين المنتمين للديار الإسلامية فحسب، وإنما شاملة لبني الإنسان قاطبةً دون تمييزٍ بين لونه وشكله وعرقه أو ديانته ومعتقده، فهي قبل كل شيء منظومة إنسانية شاملة تتسع دائرتها لتشمل سائر البشر صغيرهم وكبيرهم، قويهم وضعيفهم، مؤمنهم وكافرهم. بين المسلم وغير المسلم علاقة إنسانية تجعلهم مشتركين في أمورٍ شتى، فالمسلم مطالب أن يتعامل مع غيره كإنسان أولًا وقبل كل شيء، ويتعايش معه وفق إنسانيته وآدميته بغض النظر عن انتمائه ومعتقده، وقد بينت الشريعة الإسلامية السمحة طريقة معاملة الناس ودعت في العديد من المناسبات إلى التعامل مع الإنسان بلين القول على سبيل اللطف لهم والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة وخاصةً تجاه غيره من أهل الديانات، والدعاء لهم بالهداية.

هذا، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من ظلم الآخرين وخاصةً أهل الذمة والمعاهدين والمستأمنين من غير المسلمين بل سيكون النبي صلى الله عليه وسلم حجيج من ظلمهم يوم القيامة. قال صلى الله عليه وسلم: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهَدًا أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »(1)، وحرم النبي صلى الله عليه وسلم دماءهم وشدد الوعيد لمن فعل ذلك حين قال: ««مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»(2)، لهذا أوجب علينا الشرع الحنيف حقوقًا نحو الآخرين لإقرار النظام في المجتمع، وتحقيق مصالح الناس ولنشر العدل بينهم فلا ضرر ولا ضرار، وهو ما نعرضه في هذا الفصل من حقوقٍ للآخر في الإسلام من خلال القرآن والسنة، وما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم من وثيقة المدينة كالدستور لتعامل المسلمين مع غيرهم على أساس الحق والعدل الإلهي بين البشر.

تعد وثيقة المدينة المنورة من أهم الوثائق التاريخية التي عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وتعتبر أول دستورٍ لنظام الدولة، حيث تمَ فيه منح سكان المدينة من أنصار ومهاجرين ويهود حق الإقامة في المجتمع الإسلامي أو العيش المشترك مع المسلمين، وهو ما يسمى بـــ(المواطنة) في سلامٍ وأمانٍ بصرف النظر عن الديانة التي يدينون بها، وقد جاء نص هذه الوثيقة كما يلي: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة... وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس، وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم والمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه

(1) سنن ابي داود، كتاب الفرائض ، باب في الذمي يسلم في بعض السنة أعليه جزية ؟ 4/ 658 "3052 "
(2) صحيح البخاري، كتاب الجزية ، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم 4/99 "3166 " .

لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته، وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني ساعدة ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني أوس مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه، وأهل بيته، وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم وإن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف، وإن البر دون الإثم..."(1).

وقد دُوِّنَ هذا الدستور بشكلٍ يسمح لأصحاب الأديان الأخرى بالعيش مع المسلمين بحرية، وضمن لهم أن يقيموا شعائرهم حسب رغبتهم ومن غير أن يتضايق أحد الفرقاء من قبل عدو؛ عليهم أن يتحدوا لمجابهته وطرده(2).

وثيقة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مسيحي نجران:

استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران في المدينة المنورة وحاورهم في أمور الدين، وكان الحوار وسيلة فعالة أدت إلى إبرام العديد من العهود والوثائق والاتفاقات(3).

وحول هذه الوثيقة، جاء في الطبقات الكبرى لابن سعد: "ولنجران وحاشيتهم جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وبيعهم وصلواتهم لا يغير أسقف عن أسقفيته ولا راهب عن رهبانيته ولا واقف عن وقفانيته، وكل ما تحت أيديهم من قليلٍ أو كثيرٍ وليس ربًّا ولا دم جاهلية ومن سأل منهم حقًّا فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين لنجران ومن أكل ربًا من ذي قبل فذمتي منه بريئَة، ولا يؤخذ منهم بظلمٍ آخر وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمة النبي أبدا حتى يأتي الله بأمره إن نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلم(4).

ولقد ضرب لنا النبي صلى الله عليه وسلم خير مثالٍ في مقابلته لوفد نجران المسيحي عندما أدوا صلاتهم المسيحية في المسجد النبوي، فجاء في رواية الطبري عن محمد بن جعفر رضي الله عنه أنه قال: قدم على رسول الله وفد نجران ستون راكبًا فيهم أربعة عشر رجلًا من أشرافهم، في الأربعة عشر ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم، قال ابن إسحاق: قال محمد بن جعفر بن الزبير: قدموا على رسول الله المدينة فدخلوا عليه في مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جيب وأوردية في جمال رجال بني الحارث بن كعب، قال: يقول بعض من رآهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ: ما رأينا بعدهم وفدًا مثلهم، وقد حانت صلاتهم فقاموا يصلون في مسجد رسول الله، فقال رسول الله: دعوهم فصلوا إلى المشرق(5).

وهذه الرواية تُعلِّم البشر كيف تكون المعاملة السمحة التي أظهرها رسول الله صلى الله عليه وسلم تجاه الآخرين من وفد نجران المسيحي. وظل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يطبقون ما تعلموه من نبيهم العظيم ويلتزمون لأهل الكتاب بمبادئ الإسلام وخصائصه الحضارية، كما أصدر عمر بن الخطاب العهدة العمرية لأهل القدس عندما فتحها المسلمون عام 638 للميلاد، وقد أمنهم على كنائسهم.

فالإسلام لا يلزم الإنسان البالغ العاقل على الدخول في الإسلام، مع القناعة واليقين أن الإسلام دين الحق المبين، وأن عقيدته هي الصواب، والصراط المستقيم، وعلى غير المسلم أن يتمتع بحرية

---

(1) أبو القاسم أحمد السهيلي (المتوفى: 581ه)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط1، 1421ه.

(2) نظرة جديدة في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم- تعريب محمد النوينجي، الدار العربية للموسوعات، 1982م، ص192.

(3) البداية والنهاية- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي- بيروت، 6/5، في استقبال الرسول صلى الله عليه وسلم وفد نجران ومحاورته إياهم.

(4) الطبقات الكبرى: ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، المحقق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت، ط1، 1968م، 288/1.

(5) جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ص172/5، ط1، 1422ه – 2001م، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع.

الاعتقاد واختيار الدين الذي يريده(1)، ويتحمل نتيجة هذا الاختيار، قال تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}(2)

وذكر العلامة القرافي المالكي معنى البر الذي أمر الله به المسلمين في شأنهم فقال: "وأما ما أمر به من برهم، من غير مودة باطنة، فالرفق بضعيفهم، وسد خلة فقيرهم وإطعام جائعهم، والرحمة، لا على سبيل الخوف، والذلة، واحتمال أذاهم في الجوار، مع القدرة على إزالته، لطفًا منا بهم، لا خوفًا وتعظيمًا، والدعاء لهم بالهداية، وأن يجعلوا من أهل السعادة، ونصيحتهم في جميع أمورهم في دينهم ودنياهم، وحفظ غيبتهم إذا تعرضتا لأذيتهم، وصون أموالهم، وعيالهم، وأعراضهم، وجميع حقوقهم ومصالحهم وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم، وإيصالهم لجميع حقوقهم وكل خيرٍ يحسن من الأعلى مع الأسفل أن يفعله، فإن ذلك من مكارم الأخلاق(3).

والإسلام حينما يقاتل أعداءه لا يقاتل إلا من يناصبه العداوة بالفعل والذين في إمكانهم حمل السلاح للبطش بأهله، لذا ترى الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة من بعده كانوا يوصون الجنود والقواد بعدم التعرض للأطفال والنساء والعجزة وبألا يحدثوا إفسادًا بالأماكن الذين ينزلونها مثل قتل الحيوانات إلا لمأكلة، أو قطع الأشجار إلا لضرورة. ولقد اشتد غضب النبي صلى الله عليه وسلم حينما رأى في بعض المعارك امرأةً مقتولةً وقال: «مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ4»، وقد أوصى الخليفة أبو بكر الصديق جنوده قائلًا: لَا تَخُونُوا، وَلَا تَغدِرُوا، وَلَا تَقْتُلُوا طِفْلًا صَغِيرًا، وَلَا شَيْخًا كَبِيرًا"(5).

هذا، وقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابًا يدعوهم فيه إلى عبادة الله والاعتراف بالإسلام، فمنهم من رد ردًا حسنًا ومنهم من رد بخلاف ذلك. وحدث أن جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعض الوفود منهم، فجادلهم بالحجة وناقشهم بالدليل، وكان من الوفود التي جاءت إليه صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران وكتب يدعوهم فيه إلى عبادة الله ونبذ عبادة العباد، فإن أبوا فالجزية، فإن أبوا فالحرب، قال تعالى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}(6)، فخرج إليهم أربعة عشر من أشرافهم وقيل ستون راكبًا منهم ثلاثة نفرٍ يؤول إليهم أمرهم: العاقب، وهو أميرهم وصاحب مشورتهم والذين يصدرون عن رأيه، والسيد، وهو صاحب رحلتهم، وأبو الحارث أسقفهم وحبرهم وصاحب مدارسهم، فقدموا النبي صلى الله عليه وسلم فدخلوا المسجد عليهم ثياب الحبرة، وأوردية مكفوفة بالحرير، وفي أيديهم خواتيم الذهب، فقاموا يصلون في المسجد نحو المشرق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوهم»، ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فأعرض عنهم ولم يكلمهم، فقال لهم عثمان رضي الله عنه، من أجل زيكم هذا، فانصرفوا يومهم هذا، ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم غدوا عليه بزي الرهبان فسلموا عليه فرد عليهم ودعاهم إلى الإسلام فأبوا وقالوا كنا مسلمين قبلكم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّهُ يَمْنَعُكُمَا مِنَ الْإِسْلَامِ ثَلَاثٌ: عِبَادَتُكُمَا الصَّلِيبَ، وَأَكْلُكُمَا الْخِنْزِيرَ، وَقَوْلُكُمَا لِلَّهِ وَلَدٌ»7، وكثر الجدال، والحجاج بينه وبينهم، والنبي يتلو عليهم القرآن، ويقرع باطلهم بالحجة، وكان مما قالوه لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما لك تشتم صاحبنا وتقول إنه عبد الله، فقال: «هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ»، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنسانًا قط من غير أب،

(1) حقوق الإنسان في الإسلام، دراسة مقارنة، د/ محمد الزحيلي، ص173. بتصرف، دار ابن كثير- دمشق- بيروت، الطبعة الثانية، 1418ه، دار الكلم الطيب- دمشق.
(2) [سورة البقرة: 256].
(3) حقوق الإنسان في الإسلام، د/ محمد الزحيلي، ص178.
(4) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب: في قتل النساء، (3662/4) (2669).
(5) العلاقات الإنسانية في القرآن والسنة، دكتور/ مجاهد محمد هريدي، ص219، الطبعة الثانية، 1401ه – 1981م.
(6)[سورة التوبة:29]
(7)فتوح البلدان (71/1).

فإن كنت صادقًا فأرنا مثله، فأنزل الله في الرد عليهم قوله سبحانه: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (*) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} 1 ، فكانت حجة دامغة شبَه فيها الغريب بما هو أغرب منه، فلما لم تُجد معهم المجادلة بالحكمة والموعظة الحسنة دعاهم إلى المباهلة، وخرج الرسول ومعه علي والحسن والحسين وفاطمة وقال: «فَإِذَا دَعَوْتُ فَأَمِّنُوا»، فائتمروا فيما بينهم فخافوا الهلاك لعلمهم أنه نبي حقًّا، فأبوا أن يلاعنوه وقالوا: احكم علينا بما أحببت، فصالحهم على ألفي حلَة، ألف في رجب وألف في صفر، وعلى رعاية ثلاثين درعًا، وثلاثين رمحًا، وثلاثين بعيرًا، وثلاثين فرسًا، إن كان باليمن كيد واشترط عليهم ألا يتعاملوا بالربا وأمنهم على أنفسهم ودينهم وأموالهم وكتب لهم كتابًا جاء فيه: "ولنجران وحاشيتهم جوار الله، ذمة محمدرسول الله لا يغير أسقف على أسقفيته، ولا راهب عن رهبانيته، ولا واقف عن وقفانيته، وأشهد على ذلك بعض المسلمين، ثم رجعوا إلى بلادهم، فلم يلبث العاقب والسيد إلا يسيرًا حتى رجعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلما فأنزلهما دار أبي أيوب الأنصاري وأقام أهل نجران على ذلك حتى توفى الله نبيه، وهذا يدل على منتهى التسامح وصدق المعاملة مع غير المسلمين من النصارى(2)، وقد وضع الإسلام أسس التسامح والإخاء بين المسلمين بعضهم البعض وبين المسلمين وغيرهم لأن الإيمان والكفر سيعيشان جنبًا إلى جنب ما دامت الحياة باقية، لذلك فقد أمر الناس بالإخاء والمحبة للربط بينهم.

المبحث الأول

الإخاء-مفهومه ومظاهره

تعريف الإخاء في المفهوم اللغوي:

الأخ من النسب: معروف، وهو من جمعك وإياه صلب أو بطن، وقد يكون الصديق والصاحب، وجمع أخ أخوة، وأخوان.

قال أبو حاتم: قال أهل البصرة أجمعون: الأخوة في النسب، والأخوان في الصداقة.

وقال ابن الجوزي: الأخ اسم يراد به المساوي والمعادل، والظاهر في التعارف: إنه يقال في النسب ثم يستعار في مواضع تدل على القرينة، ويقال تأخيت الشيء أي تحريته(3).

معنى الإخاء في المفهوم الاصطلاحي: قيل هو مشاركة شخص لآخر في الولادة من الطرفين أو من أحدهما، أو من الرضاع، ويستعار لكل مشارك لغيره في القبيلةً أو في الدين أو في صفة أو في معاملة أو في مودة أو غير ذلك في المناسبات(4).

يقول الماوردي: إن من طبيعة الإنسان أن يكون إلفًا مألوفًا، ذلك أنه يستعين من خلال الألفةعلى أداء الرسالة المنوطة به في الدنيا لتحقيق أهداف الاستخلاف والمؤاخاة من أهم أسباب حدوث الألفة بين الناس لأنها كما يقول الماوردي: "تكسب بصادق الميل إخلاصا، ومصافاةً، وتحدث بخلوص المصافاة وفاءً ومحاماة"(5).

والإخاء وحقوق الآخرين من الأمور شديدة الأهمية التي تنظم علاقة الإنسان بأخيه في المجتمعات، فالإنسان كما يقولون مدني بطبعه، وحرصت الشرائع على أن تهتم بهذا السلوك وهو الإخاء لأنه من السلوكيات التي تؤدي إلى وجود المودة والحب والترابط بين الأفراد والتماسك، وهذه غاية كبرى

---

(1)[سورة آل عمران: 59، 60].

(2) العلاقات الإنسانية في القرآن والسنة، دكتور/ مجاهد محمد هريدي، ص240، 241. بتصرف، ط الثانية، دار الرشيد للنشر والتوزيع.

(3) لسان العرب، ابن منظور، 2319/14، نزهة الأعين والنواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي المتوفى 597ه، ص131، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي- مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى 1404ه – 1984م.

(4) المفردات في غريب القرآن- الراغب الأصفهاني 13، التوقيف على مهمات التعاريف، الموارديي، 1990م، ص24.

(5) أدب الدنيا والدين، أبو الحس علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الطبعة الأولى، 1410ه.

للديانات والشرائع، والشريعة الإسلامية في مجملها تتفق مع الشريعة المسيحية في مثل هذه السلوكيات التي تبنى عليها المجتمعات، قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} 1

الإخاء وحقوقه في الإسلام:

يربط الإسلام بين المسلمين جميعًا رباط هو أوثق الروابط وهو رباط الأخوة التي تزول أمامها الفوارق، من نسبٍ عريق، ومال وفير، وجاه عريض، إلى ذلك مما درج الناس على اعتباره من المميزات بين الناس، قال الله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} ، ولهذا، فقد احتضن المجتمع الإسلامي الأول المسلمين من كل جنس ولم يجد الحبشي أو الفارسي أو الرومي حائلًا يمنعهم من الانتساب لهذا المجتمع والتصرف فيه(2).

وهذا الإخاء يقتضي تبعات وحقوقًا، فليس هو إخاء عقيمًا لا ثمرة له في الواقع، ولا أثر له في الحياة العملية، فهو يقتضي أن يهتم كل أخٍ بأمر أخيه وأن يعنى بشأنه، والدفاع عنه، والذود عن حياضه، والعمل الدائب على ترقية حاضره، وإعداده لمستقبلٍ أعز وأكرم، قال الله تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} 3

ومن الآيات القرآنية التي لها علاقة بالأخوة الإيمانية منذ أماد بعيدة وأغوار سحيقة على مدى تاريخ البشرية التي ما إن ابتعدت عن طريق الأخوة الإيمانية حتى ازدادت وحشيةً وقسوةً في تعاملها مع الآخرين:

أولًا- أخوة الأنبياء في القرآن الكريم:

وقد بدأتُ بها ليقتدي بهم من دونهم، فهم خير خلق الله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ} 4 ، وقال عز وجل: {وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} 5، وقال تعالى: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} 6

إن لفظ الأخ فيه معنى الإشفاق أي إشفاق الأخ على إخوانه ممن يصيبهم ذلك العذاب العظيم، فهو إنذار من أخٍ كبيرٍ إلى من تربطه بهم هذه الوشيجة ليحول بينهم وبين الهلاك.

أما الرابطة التي كانت تربط كل نبيٍّ بغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} 7

ولم يذكر الله سبحانه وتعالى بجانب هذه الرابطة روابط أخرى كالنسب والجنس واللغة وغير ذلك من الروابط الأرضية التي لا دور لها بجانب هذه الرابطة العظيمة، وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: " الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَإِنِّي أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مريم)(8) ، وفي صحيح البخاري بسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ««إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الجِنِّ تَفَلَّتَ البَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلاَتِي، فَأَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْهُ فَأَخَذْتُهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبُطَهُ عَلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي فَرَدَدْتُهُ

(2) [سورة الحجرات: 10].
(2) المجتمع الإسلامي، د/ مصطفى عبد الواحد، ص41، دار البيان العربي- جدة، ط 1404ه – 1984م، ط3.
(3) [سورة التوبة: 71].
(2)[سورة الشعراء: 116]
(5) [سورة الأحقاف: 21
(3) [سورة الأعراف: 85].
(7) [سورة هود: 84].
8 (أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله عز وجل " " وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا" (167/9) (3443)
أمهاتهم شتى : مختلفة ومتعددة ، دينهم واحد : هو دين التوحيد ، والحديث يقيد أن النسب الحقيقي هو نسب العقيدة والإيمان ، وبه يكون التفاضل لا بالآباء.

خَاسِئًا»1 {إذًا، الأخوة نعمة كبيرة بدأ بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال الله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [سورة المائدة: 2]، {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}2. هذه النعمة العظيمة جديرة بالشكر، بل هي مقدمة على نعمة المال والعيال، لأنها مرتبطة بالإنقاذ من النار إلى الهداية الإلهية، فمن كان يتمتع بهذه النعمة فلا يفضل عن شكرها وأداء زكاتها عن طريق أداء الواجبات والحقوق المترتبة عليها.

والفضل كل الفضل يعود إلى منعمها سبحانه وتعالى، وهو القائل في كتابه العزيز: {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} 3

ولتحقيق المودة والمحبة اشترط المولى عز وجل الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} [سورة مريم: 96]، وكل قوم إذا تحابوا تواصلوا وإذا تواصلوا تعاونوا وإذا تعاونوا عملوا وعمروا.

أخوة اليتيم:

قال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(4) إن اليتيم الذي فقد حنان أبيه، لا بد أن يكون البديل في المجتمع المسلم، فكافله

لا بد أن يكون له أخًا حانيًا يعوضه المشاعر التي حُرم منها بسبب يتمه، أما اللطيم هو الذي فقد أبويه، فإن حاجته إلى الأخوة أشد وألزم.

أخوة الخدم والموالي:

قال تعالى: {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}5، وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»(6).

أخوة الصاحب بالجنب:

قال تعالى: {... وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا} 7 وروى أصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ««الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا، حَسْبُ امْرِيءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»(8).

روى أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ««مَا مِنِ امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْطِنٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ، وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ،
إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ»(9).

---

(2) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}، (162/4) (3423).

(2)[سورة آل عمران: 103]

(1)[سورة الأنفال: 63].

(2) [سورة البقرة: 220].

(5) [سورة الأحزاب: 5]

(6) صحيح البخاري، كتاب الآداب، باب: ما ينهى من السباب واللعن 8/ 16"6050" صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل، وإلباسه مما يلبس 3/ 1282 "1661"

(7) [سورة النساء: 36].

(8) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب: لا يظلمه ولا يسلمه، 862/2، رقم 2310.

(9) سنن أبي داود، كتاب: الادب، باب: من قرد عم مسلم غيبة، (271/4) (4884).

وهذه الأحاديث توضح لنا أن هذا أقصى ما يبلغه مجتمعٌ من الترابط والتساند، بل هو من مظاهر الأخوة الإنسانية الاجتماعية في الإسلام، تلك النماذج التي أوجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم من المصاهرة الاجتماعية سواء من المسلمات أو المسيحيات، أو اليهوديات، فمن المسلمات على سبيل المثال لا الحصر، زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله الهلالية، وكانت من ثلة الأولين الذين نعموا بالإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وكانت تلقب بأم المساكين لرحمتها ومعروفها وبرها والشفقة عليهم والجود والسخاء، والإحسان إليهم، وقد استشهد زوجها عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب في موقعة بدر سنة 2هـ/ 623م، فأكرم الرسول صلى الله عليه وسلم بزواجه منها زوجة شهيد استشهد في سبيل الله والإسلام(1).

وفي ظل التسامح والأخوة الإنسانية والاجتماعية في الإسلام نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم أكرم بعض النسوة من السبايا اللاتي كن يقعن في الأسر مثل جويرية بنت الحارث بن ضرار الخزاعي، وكان أبوها سيدًا لقومه، التي خيَرها النبي بين عتقها وزواجه منه صلى الله عليه وسلم، وكان لزواج جويرية من رسول الله صلى الله عليه وسلم أثرٌ كبيرٌ في نفوس المسلمين، فلما سمعوا بزواج النبي صلى الله عليه وسلم من جويرية أعتقوا ما في أيديهم من السبي وقالوا "هم أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهكذا جعلت سماحة النبي صلى الله عليه وسلم وخلقه الكريم من جويرية بنت الحارث أمًّا للمؤمنين، وكانت حياتها مليئةً بالعلم والذكر والدعاء والتسبيح وتلقين العلم لأهل العلم الذين ينشدون مآربهم العلمية في المدينة المنورة، ويقصدون منارات العلم، وثقات الرواة، كذلك تزوج النبي صلى الله عليه وسلم من مارية بنت شمعون القبطية التي جاء بها حاطب بن أبي بلتعة مبعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط، وكان حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه مبعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط، وكان حاطب بن أبي بلتعة رضى الله عنه عرض – وهو في الطريق من مصر إلى المدينة- على مارية القبطية الإسلام؛ فأسلمت هي وأختها سيرين بن شمعون ومن معها، فأسلموا وهدوا إلى الطيب من القول(2).

كذلك تزوج من السيدة صفية بن حيي بن أخطب، وكانت يهودية من يهود خيبر التي وقعت في السبي من سبي اليهود مع بنت عمٍّ لها في أيدي المسلمين حين غزا النبي صلى الله عليه وسلم خيبر، ولما رأت صفية رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت، يا رسول الله، لقد هويت الإسلام، وصدقت بك قبل أن تدعوني، حيث صرت إلى رحلك ومالي في اليهودية.

وفي عهد الدولة الأموية وبالتحديد عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز الذي كان عهده مثالًا ومثاليًّا في التسامح والإخاء الإنساني في كافة أنحاء ولايات وأمصار الدولة الإسلامية عامةً وفي آسيا الوسطى خاصةً في عهد هذا الخليفة عمر بن عبد العزيز قام ببعض التطبيقات الاجتماعية والإنسانية التي تعود بالخير على أهالي تلك البلاد، حيث عمل على إسقاط الجزية عمن أسلم حديثًا مخالفًا لسياسة من سبقه من الخلفاء الأمويين، وعين موظفًا يجوب آسيا الوسطى قريةً قريةً وقصبةً قصبةً حتى رد هذا المال إلى أصحابه، كما أمر بمنع التطبيقات الحكومية السيئة التي كانت محل شكوى مزارعي آسيا الوسطى، فمنع بشدة تحصيل ضريبة الخراج التي كانت تُفرَض على الأرض الزراعية من الفلاحين الذين أسلموا حديثًا، كما منع بشدة الحروب التي كان يقوم بها العرب ضد الأتراك في المنطقة.

على أن سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز لم تقتصر على من أسلموا من أهل البلاد فحسب، بل امتدت إلى غير المسلمين، ويتضح ذلك من رسالةٍ كتبها إلى الجراح بن عبد الله الحكمي الذي لم يكن لينًا مع أهل خراسان وآسيا الوسطى، وأرسل إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز بأن هؤلاء لا يصلحهم

(1) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص701، 702، أحمد خليل، نساء أهل البيت في ضوء القرآن والحديث، ص229، وما بعدها، الطبعة السادسة، دار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، سنة 1426ه – 2005م.

(2) السيرة النبوية، ص341، 342.

إلا السيف والسوط. فرد عليه الخليفة في رسالةٍ يقول له فيها: "كذبت، بل يصلحهم العدل والقصاص، فإنك صائرٌ إلى من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وتقرأ كتابًا لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها".

ونظرًا لتلك السياسة الإسلامية التي قامت على العدل والمساواة والتسامح دخل أهالي البلاد الإسلام بشكلٍ جماعي، لدرجة أن بعض الملوك والأمراء في المنطقة قد أقبلوا على اعتناق الإسلام بسبب إعجابهم بالحياة الإسلامية، واستخدمت اللغة العربية في مخاطبة الملوك والأمراء، والطبقة الأرستقراطية، وممن اعتنق الإسلام، منهم : "يتزاك، وطرخان، وطوغ شاد ملك بخارى"، ويقال إن الأمراء الذين أسلموا على يد الخليفة عمر بن عبد العزيز غيروا أسماءهم وتسموا بأسماء عربية(1).

المبحث الثاني

حق الآخر في القرآن والسنة

أولًا- مفهوم الحق وعلاقته بالواجب في الإسلام:

لقد بينت الشريعة الإسلامية ما لكل فردٍ من أفراد المجتمع الإنساني من حقوق وما عليه من واجبات وحمله على تحصيل الأول وأداء الثاني، ولا يتحقق إقرار النظام في المجتمع إلا بذلك. ويذكر الدكتور إبراهيم أبو الليل عن حق الآخر في القانون فيقول: "إن تقرير حقٍّ لشخصٍ لا يستقيم دون فرض واجبٍ على الآخرين، كما لا يتصور فرض واجبٍ دون أن يستند إلى حقٍّ يحميه، وإلا كان عديم الجدوى والقيمة العلمية، وإن فرض الواجبات لا يكون إلا بقصد حماية الحقوق واقتضائها"(2). وهذا يعني أن تقرير حق الفرد وحق الجماعة بحكم الشارع يجعل حق كلٍّ منهما مقرونًا بالواجب، بل إن ما هو حق للفرد أو للجماعة هو في نظر الشارع واجب تكليفي مفروض على أحدهما لصالح الآخر(3).

مصادر الحق:

الأصل في معرفة الحق أمران: القرآن، والسنة، فلا بد أن تؤمن بالكتاب والسنة النبوية المطهرة مصادر للحق.

فالقران الكريم هو الأصل الأول والمصدر العام للإسلام وهو كتاب الله لم يتعرض فيه لتفصيل الجزئيات بل نص على الأسس الثابتة والقواعد الكلية التي تبنى عليها تنظيم الشؤون العامة للمجتمع.

الأصل الثاني: إن الاسلام أبان في كثيرٍ من أحكامه وحكمه وآياته أن غايته هي تحقيق مصالح الناس ورفع الضرر عنهم، ومقصودة إقامة العدل بينهم ومنع عدوان بعضهم على بعض، يتبين هذا من حكم التشريع الذي نص عليه مع الأحكام، ومن رحمة الله بالإنسان أن أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط والعدل الذي قامت به السموات والأرض، فإذا أظهرت إمارة العدل وأسفر وجهه بأي طريقٍ كان شرع الله ودينه، والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم وأعدل أن يخص طرق العدل وأمارته وأعلامه بشيءٍ ثم ينتفي ما هو أظهر منها وأقوى دلالةً وأبين إمارةً فلا يجعله منها ولا يحكم عن وجودها وقياسه بموجبها، بل قد بين سبحانه فيما شرعه من الطرق أن مقصودة إقامة العدل بين عباده وقيام الناس بالقسط، فأي طريقٍ استخرج به العدل والقسط فهي من الدين ليست مخلفة(4).

لهذا، فليثق المسلمون في أنفسهم مع ثقتهم في دينهم ليعالجوا في غير حرج قضايا عصرهم بفطرة دينهم، وليخوضوا معركة الحياة وفي طريقهم نوران: الأول: كتاب الله تعالى، والثاني: سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبذلك تكون صلتهم بالحق الذي أنزله الله دائمًا متجددة راشدة مثمرة، ويستمد كل جديد في دنياهم أسباب حياته في شمس دينهم ونور كتابهم، فلا تنفصل قضايا عصرهم عن الحق الذي أنزله الله وأمر أن يحكم به بل تتصل به اتصال النبت المتجدد وبأسباب الحياة واتصال الحياة

---

(1) التسامح والإخاء الإنساني في الإسلام، دكتور/ محمود قمر، ص107. بتصرف.

(2) المدخل إلى نظرية القانون ونظرية الحق، د/ إبراهيم أبو الليل، ود/ محمد الألفي، ص63. بتصرف، ط1، 1406ه- 1986م- جامعة الكويت.

(3) حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والفكر القانوني الغربي، ص6، ط1402ه- 1982م، دار الشروق- بيروت.

(1) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، لأبي القيم، ص9، دار الوطن- الرياض، تحقيق: محمد حامد الفقي.

بمصدرها فلا تحكم إلا بما أراها الله، قال تعالى: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} (1)

تعريف الحق في اللغة: الحق خلاف الباطل، والحق الأمر الثابت الذي لا يسوغ إنكاره(2)، وقيل أصل الحق المطابقة والموافقة، والحق يقال على أوجه: الأول: يعني لوجود الشيء بسبب ما تقتضيه الحكمة، ولهذا قيل في الله تعالى: هو الحق، قال تعالى: {ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ}، وقال بعد ذلك: {فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} 3) الثاني: يقال للموجد بحسب مقتضى الحكمة، ولهذا يقال "فعل الله كله حق"، وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (4).الثالث: في الاعتقاد للشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه، قال تعالى: {... فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} 5

الحق كثير الورود في الكتاب الكريم، والمراد منه على سبيل التعيين يختلف باختلاف المقام الذي وردت فيه الآيات، ومعناه لا يخلو من الثبوت والمطابقة للواقع(6).فالحق: هو الله، لأنه هو الموجود الثابت لذاته والحق: الواقع كحالة الذي لا يختلف. والحق: أحد حقوق العباد وهو ما وجب للغير ويتقاضاه، والحق: العلم الصحيح، والحق: البين الواضح، والحق: العدل، والحق: الصدق، والحق: الواجب الذي ينبغي أن يطلب والحق: الحكمة التي فعل الفعل بها، والحق: القائم الكامل، ذلك كلمة (الحق) في دلالة اللغة، وقد رأيناها في جميع مواردها تحمل أرفع المعاني وأكرمها، وكفاها شرفًا أن تكون اسمًا من أسماء الله وصفةً من صفات كماله، ولقد وردت كلمة الحق في صيغ متنوعة في مائتين وسبعة وثمانين موضعًا من آيات القرآن الكريم (287).

تعريف الحق عند الفقهاء: عرفه الفقهاء بعدة تعريفات، منها: "وحق العبد هو مصالحه"(7).وفي تعريفٍ آخر، هو: مصلحة ثابتة للفرد أو المجتمع، أو لهما معًا يفرضها الشرع الحكيم(8).

أهمية الحق في القرآن الكريم:

تعرف به حقائق الأشياء وتدرك به الغاية والمصير ويتميز به الخبيث من الطيب، ويوضع بسببه الميزان، لذا جاءت كلمة الحق شاملة كل أمور الناس، لأن الله أعطى لكل شيءٍ خلقه ثم هدى، كما مر بنا في ورود كلمة الحق في القرآن الكريم.

وقد ذكر العلماء المسلمون هذه الحقوق في كتبهم وعنونا أبوابها بمثل قولهم: حقوق الجار، وحقوق الأقارب، وحقوق الأخوة، وحقوق العباد بمعنى الحق للإنسان ما هو واجب مفروض له، أو ما هو أمر ثابت طبيعي له، فله إذن حقوقه في الحياة باعتباره إنسانًا خلقه الله وبيَّنَ ما له وما عليه، فهي حقوق أصلية للأفراد(9).

---

(1) [سورة النساء 59
(2) القاموس المحيط، ص1129.
(3) [سورة يونس: 32].
(4) [سورة يونس: 5].
(5) [سورة البقرة: 213].
(6) راجع مفردات القرآن الكريم للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان- دار القلم- دمشق، ط3، 1423ه – 2002م، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، مادة (ح)، الجزء الأول- وكتابه الحق في القرآن الكريم، للشيخ محمد الراوي، 20/1، مكتبة العبيكان- الرياض، ط1، 1415ه – 1995م.
(7) الفروق للقرافي شهاب الدين أبو العباس القرافي، ص140، عالم الكتب، بيروت.
(8) الفقه الإسلامي، د/ محمد يوسف موسى، ص211، ط3، 1958- مؤسسة الرسالة- بيروت.
(9) كتاب حقوق الإنسان والتمييز العنصري في الإسلام، د/ عبد العزيز الخياط، ص817، دار السلام، 1409ه – 1989م، وكتاب الفروق، للقرافي 141/1، وكتاب الأحكام السلطانية، للماوردي، ص243 إلى 256، طبعة دار الكتاب العربي- الرياض، وعلم أصول الفقه، للشيخ عبد الوهاب خلاف، ص10، الطبعة الخامسة، دار القلم للطباعة والنشر- الكويت، 1403ه – 1983م، والموافقات للشاطبي 156/1 دار المعرفة- بيروت- لبنان، شرح الشيخ عبد الله دراز، وقام بضبطه د/ محمد عبد الله دراز، بدون تاريخ،

الإخاء وحقوق الآخرين:
لقد نظمت الشرائع السماوية مناهج الحياة للخلق أجمعين لتكون بمثابة الدستور الذي ينظم شئون الحياة ويسيرها وفق الأمر الإلهي من طريق إبلاغ الرسل والأنبياء الذين أرسلهم الله إلى أقوامهم.
ومن مميزات المنهج السماوي أنه منهج متكامل يسير وفق طبائع الخلق، فهو يشمل مناحي الحياة كالآتي: علاقة الأفراد بربهم- علاقة الأفراد بأنفسهم- علاقة الأفراد بالمجتمع. والحديث عن كل العلائق يوضح أهمية التشريعات السماوية في حياة الناس والالتزام بها، وتتعرف على معنى الإخاء حتى يسهل فهم المعنى المراد منه، أخوة الصاحب بالجنب، بل هو أمثل حد يمكن أن تبلغه الإنسانية في تكاتفها.
الأخوة في الإسلام ورفض الحزبية والعنصرية نحو الآخر:
لقد اعتمد الإسلام الأخوة دعامة لمجتمعه يرفض تلك الأحلاف ويزيد عن عقدها فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ»1 لأن الأحلاف تقوم غالبًا على العصبية وتوجه المجتمعات إلى الصراع والمقاومة(2).
الاحترام والمحافظة على الكرامة في الإسلام:
لقد أوجب الإسلام على المسلمين أن يحترم بعضهم بعضًا ويحافظ كل فردٍ على كرامة أخيه ومشاعره وسمعته حتى لو كان على غير ملته، فلا يحل لفردٍ أن يستهزئ بفردٍ آخر أو يعيبه، أو يحط من قدره، أو يضع من مكانته، أو يطعن في شخصه، أو يلقبه بلقبٍ يكرهه، أو يضيق به، أو يتجسس عليه، أو يسيء الظن به، أو يغتابه، لأن هذه السيئات تقطع الصلات، وتمزق روابط المودة، وتزرع البغضاء في القلوب وتنشر العداوة بين الناس(3).
وقد جاء في القرآن الكريم ما يدعم هذه الدعوة إلى احترام الآخر، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}4
دعوة الإسلام إلى عدم السخرية والتنابز بالآخرين:
لقد أكد الإسلام على احترام الآخرين بعدم احتقارهم وذكر عيوبهم على وجهٍ يضحك فيه أو يضحك به، أو يسخر منه، والسخرية (بالضم والكسر) وقد تكون بالمحاكاة بالقول أو بالفعل(5)، أو بالإشارة، أو بالضحك على كلام المسخور منه إذا غلط فيه، أو على صنعته أو على قبح صورته {وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ}6 أي يعيب بعضكم بعضًا بقولٍ أو إشارةٍ باليد أو العين أو نحوهما، والمؤمنون كنفس واحدة، فمتى عاب المؤمن فكأنما عاب نفسه، وهنا نلمح إلى مدى حساسية الإسلام من الاستهزاء بالآخر وعدم إيذائه حتى بالنظرة الساخرة أو الكلمة المؤذية لمشاعره لأنه يعتبره كنفسه أي الإنسان للإنسان، لذلك منع التنابز والتعاير، مما يكرهه الشخص من الألقاب، والاسم، والذكر، والصيت من قولهم: طار اسمه بين الناس بالكرم، أو اللؤم. في هذه الآية المباركة النهي عن السخرية، فلا ينبغي أن يسخر المؤمن من المؤمن ولا أن يعيبه بالهمز واللمز ولا أن يلقبه باللقب الذي يتأذى منه، فبئس العمل هذا، ومن لم يتب بعد ارتكابه فقد أساء إلى نفسه وارتكب جرمًا كبيرًا.

(1) مصنف ابن أبي أبي شيبة، كتاب: الفرائض والحلفاء (306/10) (19199). جامع معمر (436/11) (20935). مسند الطيالسي (411/2) (1180).
(2) تكريم الله تعالى لآدم عليه السلام وبنيه وأثره في العلاقات الإنسانية، د/ محمد عبد المولى جمعة، ص470. بتصرف.
(3) عناصر القوة في الإسلام، للشيخ سيد سابق، ص183. بتصرف، الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت 1398ه – 1978م.
(2) [سورة الحجرات: 11].
(5) عناصر القوة في الإسلام، ص183، مرجع سابق، للشيخ سيد سابق.
(6) الحجرات:11.

روي أن الآية نزلت في "وفد تميم" إذ كانوا يستهزئون بفقراء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كعمار، وصهيب، وبلال، وخباب، وأبي فهيرة، وسلمان الفارسي مولى أبي جندب، وفي آخرين غيرهم، لما رأوا من رثاثة حالهم. وروي أنها نزلت في صفية بنت حي بن أخطب رضي الله عنها ففي الحديث: [اسْتَبَّتْ عَائِشَةُ وَصَفِيَّةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِصَفِيَّةَ: أَلا قُلْتِ أَبِي هَارُونَ وَعَمِّي مُوسَى؟ وَذَلِكَ أَنَّ عَائِشَةَ فَخَرَتْ عَلَيْهَا] .»(1)، ويأتي النداء في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ} 2 اجتنبوا:

أي تباعدوا، وأصل اجتنبه، كنت منه على جانب شاع استعماله في التباعد اللازم له3.

الإثم: الذنب، التجسس: البحث عن العورات والمعايب والكشف عما ستره الناس. الغيبة: ذكر الإنسان بما يكره في غيبته، فقد روى مسلم « عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ» ؟ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ4».

ويذكر لنا الشيخ المراغي أسباب القوة في الإسلام التي تزيد من توثيق رباط المجتمع الإسلامي في معاملة الآخر:

البعد عن سوء الظن بالناس وتخوينهم في كل ما يقولون وما يفعلون لأن بعض ذلك قد يكون إثمًا محضًا، فليجتنب كثير منه. وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: "ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرًا، وأنت لها في الخير محملًا.

النهي عن البحث عن عورات الناس.

عدم ذكر بعضهم بعضًا بما يكرهون في غيبتهم قد مثل الشارع المغتاب بأكل لحم الميتة استفظعا له. قال قتادة: كما تكره أن وجدت جيفة ميتة أن تأكل منها، كذلك فأكره أكل لحم أخي وهو حي"(5).

وفي هذا المجال يأتي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»(6).إن المتأمل لحقيقة العلاقة التي أنشأها الإسلام في الروابط الإنسانية يرجع هذه العلاقة إلى العقيدة في تحريم العدوان وحفظ الحقوق، فيبني ذلك التحريم على أساسٍ راسخٍ يرجع إليه المسلم في نفسه وأي قانون أو وازع لا يمكنه أن يردع الناس بعضهم عن بعض، مثل الوازع الذي ينشئه الإسلام في نفوس أبنائه، ونحن نرى الآن الجرائم في مجتمعات الشرق والغرب في عصرنا تنمو وتزيد رغم المواطنة، وهذه لا تستطيع مغالبة بواعث الشر التي تقودها الأنانية، ويزكيها الصراع، فلا يجد الناس في نفوسهم من المشاعر الندية ما يعطف بعضهم على بعض في حدود روابط المصلحة واتجاه المنافع وتلك أمور محدودة الغاية تزول بزوال أسبابها ولا تترك آثارًا باقية، وعندما تتعارض المصالح وتختلف الغايات يعود الأمر إلى الصراع والمغالبة فينتج عن ذلك ما ينتج من استحلال الدماء والأموال والأعراض، أما حين يعلم المسلم أن عقيدته -وهي أساس وجوده- تحرم عليه دم أخيه وماله وعرضه فإن وازعًا حصينًا ينشأ في المجتمع يحفظ أمنه ويدفع شبح الجريمة عنه(7).

---

(1) الطبقات الكبري لابن سعد (100/8).
(2) [سورة الحجرات: 12]
(3) تفسير الشيخ المراغي، لصاحب الفضيلة الأستاذ/ أحمد مصطفى المراغي، المكتبة التجارية- مكة المكرمة، المجلد السابع، 133/26.
(4) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والأداب، باب: تحريم الغيبة، (2001/4) (2589).
(5) المرجع السابق، 136/26، 137.
(6) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى يتنح أو يدع، 1975/5، رقم: 4849.
(7) المجتمع الإسلامي، د/ محمد مصطفى عبد الواحد، ص50، 51، دار البيان- جدة، ط3، 1404ه – 1984م، مرجع سابق.

ثانيًا- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثره في العلاقات الإنسانية نحو الآخر:
وتحت عنوان (ولقد كرمنا بني آدم) يقول الدكتور محمد رجب بيومي في افتتاحية مجلة الأزهر: "إن العلم قد تقدم ماديًّا، ولكنه لم يرتفع بالمستوى الخلقي لدى الإنسان، فالإنسان الذي فتّت الذرة هو الذي جعلها سلاح إبادة واستئصال، وأوروبا التي افتخرت باكتشافاتها العلمية هي التي شنّت حربين عالميتين في نصف قرن، أكلت أولاهما عشرة ملايين من الأرواح، وقضت ثانيتهما على ثلاث وعشرين مليون ونصف غير التدمير المريع في المنازل والجو والمتاجر والمصانع والقلاع، وهذا مرض خلقي أكثر خيبةً سياسية(1).
ثم وصف صاحب الكلمه الدكتور محمد رجب البيومي العلاج لهذا المرض الخلقي فقال: أن ناتمر بإرشاد الدين في الاستجابة إلى الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذا تم ذلك فقد تهيأ للإنسان أن يستمر في فتوحه العلمية على نهج رشيد"، ثم يقول: وإذا كنا نعترف أن الإنسان استطاع التفوق في مجال البحث الكوني طبًّا وهندسةً واختراعًا، فإن تفوقه في البحوث العلمية لم يصاحبه تفوق في السلوك الإنساني نحو الفضائل، ثم يقول: "ولكن البصائر قد عميت عن صراط الله الحميد، ولكننا نتجه إلى قادة العالم ممن يشعلون الحروب ويخربون المدائن ويزهقون ملايين الأرواح لا لهدف أمثل بل لإرضاء نزوات حمقاء تجلب الشرور وتفعل ما تفعل الزلازل والبراكين، وهنا يكون الإنسان أسمى قدرًا من جميع جهاته لأنه فهم رسالة الإنسانية على وجهها الصحيح فكان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وقد وعد الله هؤلاء الكرام أن يستخلفهم في الأرض ليصبح خوف الناس أمنا وفقرهم ثراءً وتلك عقبى المصلحين.
وهو أمل بعيد التحقيق الآن حين ترى قوى الشر العالمية تتحدى الشعوب الضعيفة فتحتلها بالنار والدمار وتدعي أنها جيوش التحرير والاستقلال(2).
الأمانة والوفاء وأثرها في العلاقات الإنسانية نحو الآخر في الإسلام:
المؤمن لا يخلف الوعد ولا يخون الأمانة، فإن الخلف يضر كثيرًا ويضيع أوقات الناس ويذهب بشخصية صاحبه ويفقد الثقة به فلا يصدق في حديث
ولا يطمأن له في عهد أو أمانة. والخيانة شر يصاب به الإنسان فإنها تسلب الإيمان والدين معًا، وهذا نراه في النزعة العنصرية والكراهية الشديدة في تكوين وطبيعة الشخصية اليهودية، قال تعالى عنهم: {وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} 3 ،يقول الإمام فخر الدين الرازي : الآية دالة على انقسامهم إلى قسمين بعضهم أهل الأمانة وبعضهم أهل الخيانة وفيها أقوال. الأول أن أهل الأمانة منهم هم الذين أسلموا، أما الذين بقوا على اليهودية فهم مصرون على الخيانة لأن مذهبهم أنه يحل لهم قتل كل من خالفهم في الدين، وأخذ أموالهم، ونظير هذه الآية قوله تعالى: {لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ} مع قوله: {مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} 4.
الثاني: أن أهل الأمانة هم النصارى وأهل الخيانة هم اليهود والدليل عليه ما ذكرنا أن مذهب اليهود أنه يحل قتل المخالف ويحل أخذ ماله بأي طريق كان.
الثالث: قال ابن عباس: أودع رجل عبد الله بن سلام ألفًا ومائتي أوقية من ذهب فأدى إليه، وأودع آخر فنحاص بن عازوراء دينارًا فخانه؛ فنزلت الآية. ويستطرد الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى:

(1) افتتاحية مجلة الأزهر، إصدار مجمع البحوث الإسلامية عدد صفر 1425هـ- إبريل 2004م- ج2، السنة 77، د/ محمد رجب بيومي.
(2) مجلة الأزهر، يصدرها مجمع البحوث الإسلامية، عدد صفر 1425ه، إبريل 2004م، ج2، لسنة 77، أ. د/ محمد رجب البيومي، رئيس تحرير المجلة.
(3) [سورة آل عمران: 75].
(4) آل عمران: 113 .

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ} 1 فيقول: والمعنى أن ذلك الاستحلال والخيانة هو بسبب أنهم يقولون ليس علينا فيما أصبنا من أموال العرب سبيل، ثم يقول ذكروا في السبب الذي لأجله اعتقد اليهود هذا الاستحلال وجوهًا:

الأول: أنهم مبالغون في التعصب لدينهم فلا جرم يقولون يحل قتل المخالف ويحل أخذ ماله بأي طريقٍ كان، وروى في الخبر أنه لما نزلت هذه الآية قال عليه الصلاة والسلام: «كذبَ أعداءُ الله، ما من شيء كان في الجاهلية إلا وهو تحت قدميّ، إلا الأمانة، فإنها مؤدّاةٌ إلى البر والفاجر»(2).الثاني: اليهود قالوا {نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ} والخلق لنا عبيد

فلا سبيل علينا إذا أكلنا أموال عبيدنا. الثالث: أن اليهود إنما ذكروا هذا الكلام

لا مطلقًا لكل من خالفهم بل من خالفهم، بل العرب الذين آمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم. رُوي أن اليهود بايعوا رجالًا في الجاهلية فلما أسلموا طالبوهم بالأموال فقالوا ليس لكم علينا حق لأنكم تركتم دينكم(3). ويقول الإمام القرطبي: قيل إن اليهود كانوا إذا بايعوا المسلمين يقولون ليس علينا في الأميين سبيل أي حرج في ظلمهم لمخالفتهم إيانا(4). ففي الحديث الشريف قال صلى الله عليه وسلم: "لا إيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ وَلا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ»(5). قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ6...} ، ويقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} 7، وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا...}8 ، وفي الحديث: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ "»(9).

أثر خفض الجناح ولين الجانب في الروابط الإنسانية نحو الآخر: إن التواضع وخفض الجناح ولين الجانب كل ذلك له مكانته في الروابط الإنسانية، أما الكبر والخيلاء والعجب تغرس الفرقة والعداوة فضلًا عن أنها تحول بين المستكبر وبين إصلاح نفسه لتعاميه عن عيوبه ونقائصه واعتقاده الكمال في نفسه ورضاه عنه (10)، قال تعالى: {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا}(11) ، وقال تعالى: {... أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ} [سورة الزمر: 60]، ويقول عز وجل: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ وفي الحديث الشريف»إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ» (12).

أثر الإيثار والتعاون في العلاقات الإنسانية نحو الآخر: يهتم الإسلام بالإيثار الذي من شأنه أن يوطد العلاقة بين الأفراد ويجعلهم إخوانًا متحابين وخلانًا متناصرين، وقد مدح الله الأنصار وأثنى عليهم

(1) [سورة آل عمران: 75].
(2) جامع البيان للطبر ي(522/6).
(3) التفسير الكبير، مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج8، ص88- 90.
(4) مجلة كلية الدراسات الإسلامية، مفهوم الأمية في القرآن الكريم، د/ حسين محمد إبراهيم، مرجع سابق، ص127. بتصرف.
(5) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (33/20)(12567) قال شعيب الأرناؤوط : إسناده حسن ، والبزار في مسنده (439/13)(7196)
(6) [سورة المائدة: 1]
(7) [سورة الأنفال: 27].
(8)[سورة النساء: 58]
(9) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب علامة المنافق (16/1)(33) ، والإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان خصال المنافق (78/1)(59)
(10) مجلة الأزهر، مقالة د/ محمد رجب البيومي، مرجع سابق.
(11) [سورة الإسراء: 37]
(12) أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، الصِّفَاتِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ، (564/2) (3456).

لاتصافهم بهذه الفضيله، فقال تعالى: {... وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (1)

والتعاون من شأنه أن يقوي العلاقات الإنسانية مع الآخر في الإسلام، فالبحر من قطرة والجبل من ذرة ويد الله مع الجماعة، يقول الله تعالى:

{... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}2

أثر سلامة الصدر وضبط النفس في العلاقات الإنسانية مع الآخر:

وما اجتمعت القلوب ولا ائتلفت إلا بسلامة الصدر وطهارته من الحقد والحسد، ويقول الله عز وجل: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (*) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}(3).

ويوصي صلوات الله عليه وسلامه فيقول:«يَا بُنَيَّ، إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فَافْعَلْ» ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا بُنَيَّ وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ»(4).

وضبط النفس يمنع العلاقات من التعرض للقطيعة، وهو دليل اكتمال العقل وصفة أهل التقوى، يقول الله تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}5، وقال تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (6)

مقاومة عوامل الشر والفساد في المجتمع لتقوية العلاقات الإنسانية نحو الآخر:

إن تطهير المجتمع من عوامل الشر والفساد وتطهير الحياة من النفاق حتى نقضي على الفتن في المجتمع فلا يقبل الفاسق ولا يضره ممن ليسوا موضع الثقة قول، حتى يتبين صحته، يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}(7)

ثانيًا- مطاردة مثيري الفتنة: يقول الله تعالى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} ، لأن إيذاء المؤمنين وإشاعة قول السوء بينهم لا بد من وضع العقاب الصارم له، قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}(8) .

المبحث الثالث

مقاومة الفساد في المجتمع الإسلامي والإصلاح بين الناس

قد يحاول البعض الفرار من هذه المسؤولية في الحياة الدنيا وكأنه يؤجلها إلى عالم الآخرة حيث تنتفي الحاجة إليها ويعتذرون عن تحمل هذه المسؤولية في مجتمعاتهم بدعوى خوف الضرر على أنفسهم من أصحاب السلطة، ولكن الهدف في الحقيقة عند هؤلاء هو المحافظة على مصالحهم الشخصية، ولكن لكي يقوم هؤلاء بدورهم في المحافظة على سلامة المجتمع من التعرض للانقسام والتفكك، والصراعات، والنزاعات لا بد من اتباع منهج إسلامي يقوم على بناء المجتمع على الإصلاح الخلقي وعدم الظلم للآخرين وقول الحق والجهاد في سبيل تحقيقه.

---

(1) [سورة الحشر: 9].
(2) [سورة المائدة: 2].
(3) [سورة الشعراء: 78، 88].
(4) الحديث من الترمذي، كتاب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم 4/5، رقم: 2678.
(5) [سورة آل عمران: 133
(5)[سورة آل عمران: 134].
(1) [سورة الحجرات: 6].
(8) سورة الأحزاب: 58]

وقد جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة كيف يقاوم أهل العلم والفكر الفساد في المجتمع، ففي الحديث الشريف عن هؤلاء الذين تركوا هذه الفريضة العظمى قال صلى الله عليه وسلم: «إنهم قوم لا يوجبون أمرًا بمعروف ولا نهيًا عن منكر إلا إذا أمنوا الضرر يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير مع أن كلمة الحق هي من أفضل الجهاد» كما ورد في الأحاديث فهي لم تكلفهم أن يحملوا سيفًا داخل المجتمع لإصلاح ذات البين وإنما كلفتهم بالكلمة التي تصوب المسيرة وتمنع من تراكم الأخطاء، وقد جاء في العديد من الروايات : ما من رجل ينعش لسانه حقا يعمل به بعده إلا أجرى عليه أجره إلى يوم القيامة ثم وافاه الله ثوابه يوم القيامة1 . وإن رجلًا سال النبي صلى الله عليه وسلم: أي الجهاد أفضل؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ، وَإِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ لَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْشَكَ اللهُ أَنْ يَعُمَّهُمْ بِعِقَابِهِ»2 فمتى تقال هذه الكلمة التي تحفظ بها سلامة المجتمع والأمة؟ وقد جاء الحديث: «إِنّ عِلْماً لَا يُنْتَفَعُ بِهِ كَكَنْزٍ لَا يُنْفَقُ مِنْهُ فِي سَبِيلِ الله3)، واذا لم تظهر هذه الكلمة عندما يتعرض المجتمع لأفدح الأخطار والأضرار فأي قيمةٍ لها في غير وقتها، وعند انعدام الحاجه إليها وهل يكون الإصلاح إلا عند ظهور الفساد؟ (4).

موقف القرآن والسنة من فريضة الإصلاح المجتمعي بين الناس:

قال صلى الله عليه وسلم: «فَإِنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ، وَلَا يُنْقِصَانِ مِنْ رِزْقٍ» 5، ولكنها السكرة التي تغشي الأبصار فتمنع رؤية الحقيقة، كما جاء الحديث النبوي قال صلى الله عليه وسلم: «غَشِيَتْكُمُ السَّكْرَتَانِ: سَكْرَةُ الْجَهْلِ، وَسَكْرَةُ حُبِّ الْعَيْشِ 6 » فعند ذلك لا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر، والقائمون بالكتاب والسنة كالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار(7). وعن الإمام علي رضي الله عنه: "إن العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله بل الحجة عليه أعظم والحسرة له ألزم، وهو عند الله ألوم". وقد أمرت الآيات المباركة أن يكون الإصلاح بالعدل باعتبار أن عملية الإصلاح تتضمن إصدار الأحكام فتكون مشمولة لقول الله تعالى: {... وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}(8) ، وقال تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}(9) ، وجاء في الحديث الشريف: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُقَدِّسُ أُمَّةً لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهِمْ حَقُّهُ»» ولذلك، كان

لا بد في عملية الإصلاح التجرد من عوامل الهوى والخوف والابتعاد عن كل ما يحرف عملية الإصلاح عن أهدافها، وذلك باعتماد الحق والعدل. وهنا تبرز حقيقة الإيمان، ولكلمة التقوى، فقد يميل طرفٌ إلى عصبية حزبية أو دينية

أو عرقية، وقد يميل طرفٌ آخر إلى أسبابٍ تمنعه من قبول الحق باعتبار أنه يرى الحق والحقيقة عنده، وأن الباطل والخطأ عند غيره المخالف له، وأنه هو الصلاح والإصلاح وغيره الفساد

---

1 مسند أحمد (2/ 456) (87890).
2 أخرجه ابن ماجه في الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (1329/2)(4011) ، وأحمد في مسنده (28/17)(18830)، الأد والمثاني (92/1)(62).
3 أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب: الفتن، باب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (1329/2) (4011).وأبو يعلى الموصلي في مسنده (422/4)(2549) قال المحقق حسين سليم أسد : إسناده ضعيف ، والبيهقي في السنن الكبرى في كتاب السير ، باب ترك قتل من لا قتال فيه من الرهبان والكبير وغيرهما (154/9)(18154)
(4) الحرية والمواطنة والتنوع والتكامل في مؤتمر الأزهر، ص438. بتصرف.

(1) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (1327/2)(4005)،
(2) الإمام أحمد في مسنده (197/1)(16).
(3) الجامع الكبير للسيوطي (66/3) (79).
4 [سورة النساء: 58].
5 [سورة الحجرات: 9].

والإفساد، فكيف يطالب {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ} بإصلاح أمره وحتى لا تختلف في تشخيص الحق والحكم به، فقد قال تعالى: {... فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}(1) ، ولذلك جاء الخطاب الإلهي للمؤمنين بلزوم اعتماد الحق والعدل في أحكامهم كما ورد في القران الكريم: {يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَو عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم أَوِ ٱلۡوَٰلِدَينِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ} 2وجاء الخطاب الإلهي موجهًا التحذير للذين يرفضون مطالبتهم بالإصلاح لأنهم يملكون الحقيقة وحدهم كما يزعمون، فقال عنهم الله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُم لَا تُفسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحنُ مُصلِحُونَ} (3)

وقد ذكر صاحب تفسير الميزان المراد بالإفساد في الأرض في الآية فقال: هو الإخلال بالأمن العام، والأمن العام إنما يختل بإيجاد الخوف العام وحلوله محل الأمن ولا يكون بحسب الطبع والعادة إلا باستعمال السلاح المهدد بالقتل، ولهذا ورد فيما ورد من السنة في تفسير الفساد في الأرض قال صلى الله عليه وسلم: « مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَدَعَهُ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ »(4)، وورد في صحيح البخاري بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: مر رجل في المسجد ومعه سهام فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم : أمسك بنصالها.(5) ، فان هذه الأحكام المتقدمة تعتبر من الثوابت في الكتاب والسنة، وهي المرجعية في التعاون على إصلاح أمور الامة والمجتمع، فيجب تذكير المخالفين لها بها، وقد جاء في الحديث الشريف:

«" لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ هَيْبَةُ النَّاسِ، أَنْ يَتَكَلَّمَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ أَوْ سَمِعَهُ6 » وعندئذ تكون النصيحة لله في عباده كما قال الإمام علي: "ولكن من واجب حقوق الله على عباده النصيحة بمبلغ جهدهم والتعاون على إقامه الحق بينهم وليس أمرًا وإن عظمت في الحق منزلته وتقدمت في الدين فضيلته". فالتعاون على إقامة الحق والعدل يزيل الخلاف على رواسب الماضي والنزاع على مكاسب الحاضر ويضمن الاستقرار المطلوب ويؤسس للتعايش السلمي بين أفراد المجتمع.

المبحث الرابع

أهمية العيش المشترك وعدم التمييز بين المسلمين وغير المسلمين

إن المواطنة هو مصطلح أصيل في الإسلام، وقد شعت أنواره الأولى من دستور المدينة وما تلاه من كتب وعهود النبي صلى الله عليه وسلم يحدد فيه علاقة المسلمين وغير المسلمين، ويبادر الإعلان إلى تأكيد أن المواطنة ليست حلًا مستوردًا وإنما هو استدعاء لأول ممارسة إسلامية لنظام الحكم طبّقه النبي صلى الله عليه وسلم في أول مجتمع إسلامي أسّسه هو دولة المدينة.

هذه الممارسة لم تتضمن أي قدرٍ من التفرقة أو الإقصاء لأي فئةٍ من المجتمع آنذاك، وإنما تضمنت سياسات تقوم على التعددية الدينية والعرقية والاجتماعية، وهي تعددية لا يمكن أن تعمل إلا في إطار المواطنة الكاملة والمساواة التي تمثلت بالنص في دستور المدينة على أن الفئات الاجتماعية المختلفة دينًا وعرقًا هم أمة واحدة من دون الناس، وأن غير المسلمين لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين. (7)

ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلًا للشراكة الكاملة والعقد القائم بالجماعة الواحدة على السفينة الواحدة ذات الطابقين، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا من فوقهم فقال بعضهم

---

1 [سورة النساء: 59].
2 [سورة النساء: 59]
3 [سورة البقرة: 11].
4 أخرجه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ، باب النهي عن الإشارة بالسلاح (2020/4)(2616)
(5) صحيح البخاري، كتاب: الصلاة، باب: يؤخذ بنصول النبل إذا مر في المسجد (98/1) (451).
(6) ابن ماجة كتاب: الفتن، باب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (1328/2) (4007)، مسند أحمد بن حنبل (761/1) (11017).
(7) مجلس حكماء المسلمين، تقديم: أ. د/ علي راشد النعيمي، الأمين العام لمجلس الحكماء المسلمين، من محرم 1436ه، أكتوبر 2014م، إلى رجب 438ه/ إبريل 2017م، ص100.

لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذِ من فوقنا، وقد عَقَّبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك بقوله: «فإن تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا جَمِيعًا "» (1).

ومما سبق، فإن حق الآخر والتعايش السلمي حقٌّ أصيلٌ في الدين الإسلامي، أسس له الرسول صلى الله عليه وسلم في الدولة الإسلامية منذ بدايتها.

قال تعالى: {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (*) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ} [سورة الغاشية: 21، 22]، فلم يكن من الميسور أن رجال الدين الإسلامي يقع على أيديهم

أي اضطهادٍ لمخالفيهم، ولهذا ارتدت الاضطهادات في الإسلام إلى أسبابٍ شخصية أو دوافع سياسية أو حين دس الحكام الدنيويون أنوفهم في مسائل علمية وفرضوا رأيهم على مخالفيهم بحد السيف.

فهناك شاهد على ذلك هو محنة الإمام أحمد بن حنبل على يد المأمون والمعتصم والواثق في مشكلة خلق القرآن، وغيره سواء في الدين الإسلامي أو الدين المسيحي في أوروبا على يد رجال الدين في عصر النهضة، إذ بدأت تظهر كشوفٌ علمية (2)، والدعوة إلى التفكير والبحث والتأمل.

التكافل مع الآخر في عهد صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم:

لم تتميز حضارةٌ من الحضارات ولا شريعة من الشرائع بما تميز به الإسلام بمبادئه وتشريعاته التي جسَدت أرقى صور السمو الحضاري والرقي الاجتماعي من خلال الكفالة التي ضمنها ديننا الحنيف مع غير المسلمين في حالات عجزهم وضعفهم، ويشهد على ذلك التاريخ، ففي خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه كتب خالد بن الوليد في عقد الذمة لأهل الحيرة بالعراق وكانوا من النصارى: وجعلت لهم أيما شيخٍ ضعفة عن العمل أو أصابته آفة من الآفات

أو كان غنيًّا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طُرحت جزيته من بيت مال المسلمين هو وعياله".

فقد اهتم الخلفاء بعد النبي صلى الله عليه وسلم اهتمامًا بالغًا بالتكافل الاجتماعي خاصةً مع أهل الذمة من أجل بناء مجتمع مشترك يتعاون فيه الجميع، مجتمع يتصف بصفات الإخاء والإحسان، مجتمع يغاث فيه الملهوف والمحتاج سواء أكان مسلمًا أم غير مسلم عملًا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرًا على منهج الإسلام(3).

إن أحد الألمان الذين شاركوا في الحروب الصليبية بعد عودته إلى وطنه على نهر الراين لم يجد بدًّا من تحرير رسالةٍ إلى سلطان مصر الملك الكامل يعبر فيها عن مشاعره تعبيرًا مؤثرًا، وقد رسخت في مخيلته المذابح الفظيعة التي أبيد فيها أهل دمياط بمصر جميعهم بناءً على أوامر البابا ومبعوثيه الكرادلة ورجالات الكنيسة، وذلك بعد الاستيلاء على حصن دمياط بعد حصارٍ طويل.

لم يكن ذلك الألماني سوى عالم الفلسفة اللاهوتية (أوليفيروس) من كولونيا على نهر الراين بألمانيا الذي بهره ما اكتشفه من المروءة والفروسية العربية التي أثبتها في شخصية السلطان الكامل على الرغم من جميع الأهوال والفظائع التي اعتادها السلطان من قِبَل النصارى، ولقد سجل ذلك الشاهد ما لمسه بعينه كما لو كان ذلك حدثًا سعيدًا لا يمكن للعقل أن يتصوره، فقام بكتابة رسالته التالية إلى السلطان الكامل عام 1221م، والمعروف بصداقته للقيصر فريدريك الثاني إذ إنه لم يقتص من الصليبيين العين بالعين والسن بالسن، وإنما أطعمهم في مسغبتهم أربعة أيام طوالًا مرسلًا إلى جيشهم المتضور جوعًا كل يوم 30 ألف رغيف ومواد غذائية أخرى. كتب يقول:

منذ تقادم العهود لم يسمع المرء بمثل هذا الترفق والجود خاصةً إذا أسرى العدو اللدود، ولما شاء الله أن نكون أسراك لم نعرفك مستبدًّا طاغية ولا سيدًا داهية، وإنما عرفناك أبًا رحيمًا شملنا بالإحسان والطيبات، وعونًا منقذًا في كل النوائب والملمات، من ذا الذي يشك لحظةً في أن مثل هذا الجود والتسامح والرحمة من عند الله أن الرجال الذين قتلنا آباءهم وأبناءهم وبناتهم وإخوانهم وأخواتهم

(1) صحيح البخاري البخاري، كتاب: المظالم والغصب، باب: هل يقرع في القسمة والاتسهام، (139/3) (2493).
(2) الاضطهاد الديني، ص8- 15. بتصرف.
(3) إرساء دعائم التسامح والتعايش من خلال التكافل الاجتماعي في عهد عمر بن عبد العزيز، تأليف: فتحية زروالي، باحثة في الدراسات الإسلامية- المغرب، ص2. بتصرف، شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات.

وأذقناهم مر العذاب لما غدونا أسراهم وكدنا نموت جوعًا راحوا يؤثروننا على أنفسهم على ما بهم من خصاصة وأسدوا إلينا كل ما استطاعوا من إحسان، بينما كنا تحت رحمتهم لا حول لنا ولا سلطان(1).

ولقد أخزاهم صلاح الدين مرةً أخرى حين تمكن من استرداد بيت المقدس الذي كان الصليبيون قد انتزعوه منه من قبل بعد أن سفكوا دماء أهلها في مذبحةٍ لا تدانيها مذبحة وحشية وقسوة فإنه لم يسفك دم سكانه من النصارى انتقامًا لسفك دماء المسلمين بل إنه شملهم بمروءةٍ وأسبغ عليهم من جوده ورحمته ضاربًا المثل في التخلق بروح الفروسية العالية.

وحينما سفك فرسان الحملة الصليبية عام 1204 حتى دم إخوانهم من النصارى في بيزنطة أخذ أكومينانوس يبكي مصارعهم قائلا: "بل إن محاربي المسلمين الأعداء أنفسهم رحماء طيبون قياسًا بأولئك القوم الذين يحملون صليب المسيح على أكتافهم(2).

إن أحق الأديان بطول البقاء ما وجدت أحواله متوسطة بين الشدة واللين ليجد كل منزلٍ طباعه المختلفة ما يصلح حاله في معاده ومعاشه ويستجمع له من خير دنياه وآخرته.

وكل دينٍ لم يوجد على هذه الصفة، بل أسس على مثال يعود بهلاك الحرث والنسل، فمن المحال أن يسمى دينًا فاضلًا: وذلك مثل ما تمسك به رهبان النصارى من هجران المناكح والانفراد في الصوامع وترك طيبات الرزق وما يتعاطاه الصادقون من التنويه من حمل الأنفس على الوجاء وملازمة الأصول الخمسة عندهم: (الصدق، والطهر، والراحة، والقدس، والمسكنة) دون غيرها من حركات العمارة، فوظيفة الدين كوجهٍ روحي وخلقي للبشر تتحقق في الإسلام على وجهٍ أفضل وأكمل مما تحققها في غيره من الأديان(3). قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} 4]، وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} 5 ، وقد ظهر هذا الأثر لما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن، وعسكر أبو عبيدة في محل كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد إلى العرب، يقولون: يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأكف عن ظلمنا وأحسن ولايةً علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا. وغلق أهل حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم لهم أحب إليهم من ظلم الإغريق وتعسفهم(6). وقد كتب عمر بن الخطاب عهد أمان للنصارى، عند فتح بيت المقدس قال فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيءٍ من أموالهم ولا يُكرهون على دينهم ولا يضار أحدهم"(7).

إن نظرة الإسلام للإنسان تختلف تمامًا عن نظرة غيره من الأديان التي جعلت اختلافات اللون والجنس والدين عاملًا من عوامل التفرقة بين البشر، فالنظرة الإسلامية نظرة عادلة، لا تفرق بين البشر على أي أساسٍ ينفي حقوق الآخرين من البشر لأي عاملٍ مهما كان، فالنفس الإنسانية مكرمة ومعظمة، وهذا الأمر على إطلاقه وليس فيه استثناء بسبب لون أو جنس أو دين، قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا

---

(1) الله ليس كذلك، ص33، 34، ترجمة: غريب محمد غريب، الطبعة الأولى- دار الشروق.
(2) المرجع السابق، ص35.
(3) مقارنة الأديان، د/ طارق خليل السعدي، ص23. بتصرف، دار العلوم العربية- الطبعة الأولى، 1425ه – 2005م، دار العلوم العربية للنشر.
(4) [سورة الأنبياء: 107
(5) [سورة سبأ: 28]
(6) الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ص73، ترجمة إلى العربية، الدكتور حسن إبراهيم حسن، الدكتور/ عبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية، 1970م.
(7) المرجع السابق، ص75.

تَفْضِيلًا} 1 وكانت هذه الرؤية هي الأساس الذي تعامل به رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الناس جميعًا، فقد حفلت نصوص الشريعة الإسلامية بالاحترام والتقدير والرحمة والرأفة للبشر جميعًا حتى المحاربين للإسلام، فالشريعة تأبى الظلم في كل صوره، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعامل مع نفوسٍ بشريةٍ مكرمة، فلا يجوز إهانتها أو ظلمها، أو التعدي على حقوقها، أو التقليل من شأنها، وهذا واضح في آيات القرآن الكريم(2)، قال تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} 3

فالعدل في الشريعة مطلق لا يتجزأ مهما كان الآخر الذي نتعامل معه، والرحمة هي عنوان رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} 4 إن الظلم شيء مقيت وإن الله تعالى حرمه على نفسه جل وعلا وحرمه كذلك على عباده، فيروي أبو ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: «يا عِبَادِي إني حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَحَرَّمْتُهُ عَلَى عِبَادِي، فَلَا تَظَالَمُوا 5» ومن هنا جاءت نصوص الشريعة تحذر من أشكال الاعتداء على غير المسلمين، فيقول الله، {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} 6

إن الإسلام يحترم كل نفسٍ بشرية ويقدرها ويكرمها، وهذا ما دفع قيس بن سعد وسهل بن حنيف رضي الله عنهما أن يقفا لجنازة مجوسي يعبد النار، فالمجوسي هذا ليس كتابيًا أصلًا، وهو على عقيدةٍ مخالفةٍ تمامًا لدين الإسلام، بل إنه من قومٍ محاربين، ومع ذلك فالصحابة يدركون قيمة النفس البشرية فيكرمونها ويقفون لها. هذه هي نظرتنا لغير المسلمين، وهذه هي الخلفية التي يضعها المسلمون في أذهانهم عند التعامل مع غير المسلمين، فالمسلمون يضعون في أذهانهم وفي عقيدتهم أن الاختلاف بين الناس ليس أمرًا محتملًا فقط، بل هو حتمي أما بالنسبة للمسيحيين، فليس لديهم تنظيم ديني للحرب، إذ لم يكن السيد المسيح عليه السلام –كما يقولون- مشرعًا، ولكن داعيًا إلى تطهير النفوس بترويضها روحيًا على مبادئ الأخلاق، ويأتي ما يؤيد ذلك على لسان المسيح عليه السلام في الإنجيل المحرف فيقول: (أما أنا فأقول لكم: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ ، "وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلًا وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ(7)، ولكن يأتي في مواضع أخرى على لسانه ما هو خلاف ذلك أيضًا، فيقول: «لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ ، مَا جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا بَلْ سَيْفًا ، جِئْتُ لأُلْقِيَ نَارًا عَلَى الأَرْضِ، فَمَاذَا أُرِيدُ لَوِ اضْطَرَمَتْ؟")8 وهذا ما فعله الصليبيون عندما استولوا على بيت المقدس فذبحوا سبعين ألف مسلم، وفي عام 1992م ارتكب الصرب فظائع كثيرة في حق المسلمين البوسنيين، وكان كل شيءٍ بعلم الكنيسة الأرثوذكسية وأوامرها، فقاموا بقطع إصبعين وترك ثلاثة أصابع للضحايا كرمزٍ على التثليث، ورسم الصليب على الأجسام بالسكاكين كما أصدرت الكنيسة فتوى تبيح اغتصاب الصرب للمسلمات حوالي 60 ألف سيدة وفتاة وطفلة بوسنية عدة مرات، وهذا لمجرد أنهم مختلفون معهم في الدين، وهو في حد ذاته دافع قوي لهم في شريعتهم لقتل الآخر والتعدي على حرماته وليس لديهم رادع ديني يمنعهم من هذه الجرائم التي لا يرضى الله عنها.

الفرق شاسع بين التشريع الإسلامي المحكم في معاملة الآخرين وبين الافتراءات البشرية التي دست بين صحائف التوارة، والإنجيل، ففي سفر يوشع مثلًا نجد طريقة تعامل اليهود مع غيرهم ما يلي: (ثم تحرك يوشع وجيش إسرائيل من الخيش نحو عجلون فحاصروها وحاربوها واستولوا عليها في ذلك

---

1 [سورة الإسراء: 70].
(2) أخلاق الحروب، راغب السرجاني، ص3. بتصرف.
(3) [سورة الأنبياء: 47].
(4) [سورة الأنبياء: 107].
(5) مسلم كتاب: البر والصلة والأداب، باب: تحريم الظلم، (1994/4) (2577).
(6) [سورة الأنعام: 151].
(7) "[إنجيل متى، الإصحاح الخامس]
(8) [إنجيل متى، الإصحاح العاشر]،

اليوم ودمروها، وقضوا على كل نفسٍ بحد السيف، على غرار ما صنعوا بخيش، ثم اتجه يشوع بقواته من عجلون إلى حبرون وهاجموها واستولوا عليها ودمروها مع بقية ضواحيها التابعة لها، وقتلوا ملكها وكل نفسٍ بحد السيف، فلم يفلت منها ناج على غرار ما صنعوا بعجلون، وهكذا قضوا على كل نفسٍ فيها، ثم عاد يشوع إلى دبير وهاجموها واستولوا عليها ودمروها مع ضواحيها، وقتل ملكها وكل نفس فيها بحد السيف، فلم يفلت منها ناج، فصنع بدبير وملكها ما صنع بلبنة وملكها) [سفر يوشع 10/34- 39.

فهذه هي نفسية اليهود حتى يومنا هذا، وهذه صورة الأنبياء عندهم، يقتلون كل نفسٍ غير يهودية(1)، فهم لا يشبعون من قتل غيرهم ولا يكتفون منهم، ولقد أمر الرومان عند احتلالهم للقدس اليهود أن يقتلوا أبناءهم ونساءهم بأيديهم، وللعجب فقد استجاب اليهود لهم من شدة الرعب، وطمعًا في النجاة، فهم أحرص الناس على حياة، ولو كانت حياة ذليلة مهينة، ثم بدأ الرومان يجرون القرعة بين كل يهوديين، ومن يفز بالقرعة يقتل صاحبه حتى أبيد اليهود في القدس عن آخرهم وسقطت دولتهم، ولم ينج منهم سوى الشريد أولئك الذين كانوا يسكنون أماكن بعيدة.

لقد جاء التشريع الإسلامي فهذَب طباع الإنسان وعدَل سلوكه وأعطاه حق الدفاع عن نفسه، ومنعه من العدوان على حقوق الآخرين وارتفع به من مستوى الانتقام إلى مستوى العفو(2)، قال تعالى: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (*) وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (*) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (*) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}(3) وعن ابن عباسٍ رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث جيوشه قال:

« اخْرُجُوا بِاسْمِ اللهِ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، لَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَقْتُلُوا الْوِلْدَانَ، وَلَا أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ "»(4).

وعندما دبر اليهود مؤامرةً لقتل الرسول صلى الله عليه وسلم قال له الصحابة: ألا نقتلها؟ فرفض، لأنها محاولة قتل، وليست قتلًا فعلًا، فلا يجوز قتلها، ثم إنه لم يعاقبها، ولا من أمرها من اليهود، إلا أن أحد الصحابة -وهو بشر بن البراء بن معرور-كان قد أكل منها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات مقتولًا بسمها، فهنا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل المرأة قصاصًا، ولم يقتل معها أحدًا من أهل خيبر (5).

(1) أخلاق الحروب في السنة النبوية، راغب السرجاني، ص37. بتصرف.
(2) المرجع السابق، ص76. بتصرف.
(2)[سورة الشورى: 40- 43].
(4) رواه أحمد (2728) والبيهقي (17933)، السنن الكبري للبيهقي كتاب : السير، باب : ترك قتل من لا قاتل فيه من الركبان والكبير وغيرهما، (154/9).(18154) مسند أبي يعلى (422/4) (254).
(5) أخلاق الحروب في السنة النبوية، راغب السرجاني، ص98. بتصرف، الطبعة الأولى، مؤسسة اقرأ للنشر.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وترفع الدرجات وتسمو المقامات، فحمدا لله الذي أسبغ عليَ نعمه المتعددة، ومنها: نعمة اكتمال هذا العمل الذي أرجو ثوابه من الله تعالى.

هذا وقد استخلصت بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال معايشتي له، ومن أهمها مايلي:

لا يوجد توحيد مطلق في المسيحية، ولكن التحريف أربك هذا المعتقد في كافة الأناجيل، وبالتالي لا أثر له في العلاقات الإنسانية نحو الآخر، وتم وضعها تحت مصلحتهم الخاصة.

التحريف والتغيير في الأناجيل لا زال جاريًا حتى وقتنا الحاضر تحت اسم الأناجيل المنقحة، وأن الأناجيل في السوق لا تنطبق واحدةٌ منها على الأخرى في شخصية المسيح عليه السلام. ولقد أشار "هيردر" في عام 1976 إلى ما بين (مسيح مرقس، ومتَى، ولوقا) وبين المسيح في إنجيل يوحنا من فوارق بينها ما يجعل إنجيل يوحنا إنجيلًا كاذبًا، وهو ما يجعل علاقتهم بالآخر متناقضة.

إن النصرانية والمسيحية المحرفة بشعاراتها عن الحب للآخرين وعدم التعدي عليهم وعلى ممتلكاتهم مجرد خدعة للبشرية ومخالفة صريحة لرسالة المسيح عليه السلام بما يفعلونه من وحشيةٍ والتوسع في دائرة الحملات الصليبية على غيرهم من المسلمين في كل مكان، وسرقة الأوطان، وطرد الآمنين من بلادهم، وقتل من يختلف عنهم باعتبارهم الأفضل وغيرهم لا قيمة له مما يخالف الإيمان برسالة المسيح عليه السلام.

المسيحية المحرفة لا يسمحون للآخر الذي يختلف معهم حتى في المذهب من بني جلدتهم ممارسة حياتهم ومعتقداتهم، بل قاموا بالقضاء عليهم والتخلص منهم، فالكاثوليك يقاتلون البروتستانت، والبروتستانت يقاتلون الكاثوليك، ولا يوجد اتفاقٌ بينهم بالرغم من اتباعهم لدينٍ واحدٍ، فلكلٍّ منهم كتابٌ مخالفٌ للآخر.

إن التعامل البشري السليم يعتمد على المعايير الشرعية والقيم الأخلاقية التي تستقيم مع الفطرة البشرية، والتي أخبرنا عنها الأنبياء والرسل، وقد تم تغافل اليهود والنصارى في معاملتهم الوحشية أثناء حروبهم مع الآخرين مما جعلهم يقتلون ويمثلون بغيرهم من المسلمين وغير المسلمين في أنحاء المعمورة سواء في أوروبا أو أمريكا أو بلاد المسلمين بأبشع الوسائل التي تحرم الأديان الشرعية استخدامها تجاه الآخر.

إن الوصايا التي جاء بها المسيح عليه السلام نحو الآخرين لم تسلم من التحريف والتعطيل، وهي عديمة الجدوى لأنهم تنصلوا منها في معاملة الآخر والتعايش معه، بل التمييز العنصري هو الأساس عندهم في تعاملهم مع الآخرين في كافة أنظمة حياتهم اليومية.

النصارى في تعاملهم مع الآخر أقرب إلى اليهود في معاملة الأغيار منهم لتعاليم المسيح عليه السلام ووصاياه؛ لأنهم استبدلوا الحب الذي دعا إليه المسيح عليه السلام للآخر بالكراهية والعنصرية وزوال الآخر من الدنيا، وضربوا جميع الأخلاقيات السمحة التي جاء بها المسيح عرض الحائط.

إن فكرة التغافل عن أخطاء الآخرين لا توجد إلا في الإسلام الذي يُعلِي من قدر الإنسان دون التمييز بين الجنس أو الدين أو اللون وكافة الأعراض التي لا قيمة لها في نظر الإسلام إلا التقوى، فهي معيار التمييز في الإسلام، وهو ما يجعل هذا الدين دينًا حضاريًّا يتناسب مع كافة مخلوقات الله دون تمييز.

لقد تناقضت نصوص العهد الجديد نحو الآخر بشكلٍ يزعج أي إنسان نحو التعامل المسيحي الذي يكيل بمكيالين، ففي نصوصٍ نجده يقول: (لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء بل اعطوا مكانًا للغضب). وعندما احتل الأسبان مدينة قرطبة أصدروا مرسومًا ملكيًّا بتأسيس "جيتو" فيها، يقولون فيه: "على جميع اليهود العرب في كل مدينةٍ وبلدةٍ وقريةٍ أن يجتمعوا ويسكنوا في مناطق مخصصة لهم وألا يختلطوا بالمسيحيين، بل عليهم ألا يجتمعوا معهم تحت سقفٍ واحد".

التسامح في المسيحية تسامحٌ حسنٌ نظريًّا، وسيئٌ عمليًّا، كما قال (غوستاف لبون)، ولم ينشأ عنه غير إيغار صدور رجال الحزبين؛ فاضطهد البروتستانت الأقوياء فرنسا الكاثوليك، لكي يترك هؤلاء عقيدتهم، وكانوا يذبحونهم وينهبون كنائسهم.

إن احترام عقيدة الآخر أمرٌ مستحيلٌ في المسيحية المحرفة بل وصل التعصب والعنصرية عندهم إلى إبادة الآخر من الدنيا، وهو ما يفعله اليهود والصهاينة اليوم أيضًا في حق الآخرين على مرأى

ومسمعٍ من العالم في فلسطين بمساعدةٍ من حكام الدول المسيحية العنصرية، فلا مكان للآخر ولا احترام لحقوقه إلا من خلال بعض النصوص التي تناقضها نصوصٌ أخرى في الكتاب المقدس.

يقول المسيح عليه السلام: (لا تكنزوا لكم كنوزًا في السماء حيث يفسد السوس والصدأ أو حيث يقف السارقون، بل اكنزوا لكم كنوزًا في السماء حيث لا يفسد السوس)، مثل هذا النص يعد أمرًا من الله للنصارى في عدم السرقة وأخذ مال الغير. وفي مملكة "غواتيمالا"، جمع القبطان في أسبانيا الأشراف من الهنود، وطلبوا منهم أن يسلموهم الذهب، ولما لم يجدوا عندهم شيئًا أمر القبطان جنوده بإحراقهم من غير ذنب. وبالتالي، فهؤلاء القادة أعمى أعينهم الذهب عن طاعة الله والمسيح، فقتلوا الأبرياء من اليهود بالحرق دون رحمةٍ، ولم يطيعوا الله تعالى، وأباحوا لأنفسهم سرقة أموال الآخر، أو قتله، وهو مخالف للاستقامة والعدل التي أمر بها المسيح عليه السلام.

مخالفتهم لنصوص الإنجيل التي تحرم الحقد والضغينة وطاعة الشهوات في معاملة الآخرين، وقاموا بسرقة أكثر من 400 مليون غرام من الذهب في مقاطعة "نيكارغوا"، وتناسوا قول المسيح: (طوبى للرحماء لأنهم يرحمون، طوبى للجياع والعطاشى إلى البر).

ارتكاب الأعمال الوحشية ضد الأطفال والنساء في آسيا الصغرى أبناء الآخرين، فقد قام الصليبيون بتقطيع الأطفال واللهو بجثثهم، وقتل النساء، كما شهدت بذلك " آن كومنين" بنت قيصر الروم، وهو ما يتنافى مع الرحمة والمسؤولية أمام الله تعالى تجاه الآخر.

إعلان الكراهية للآخرين كما فعل الصليبيون الذين قطعوا رؤوس عددٍ كبيرٍ من المسلمين، وقتل غيرهم رميًا بالسهام، وإرغامهم أن يلقوا بأنفسهم في النار من فوق الأبراج وتعذيب عددٍ كبيرٍ منهم عدة أيامٍ بشهادة شاهد العيان "ريمون الإيجيلي"، ولم يعملوا بقول المسيح: (لماذا تنظر القذى في عين أخيك...).

جاء التحريض على الانتحار وقتل النفس التي حَرَّمَ الله قتلها إلا بالحق في جميع الشرائع السماوية، وذلك من خلال النص المحرف: من يحب نفسه يهلكها، ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياةٍ أبدية.

احترام الدين الإسلامي والمسلمين الآخر بالتسامح والرحمة والعدل في المعاملة حتى لو كان المسلمون هم المنتصرون في المعركة.

إن الفكر الإسلامي قمة شامخة في معاملة الآخر، وإن ما سواه من النصرانية حافل بالانحراف والوثنية في معاملة الآخر ورفض وجوده. ولم يفرض الإسلام أي معتقدٍ على الآخرين بالقوة بشهاده علماء الغرب الموضوعيين للإسلام والمسلمين.

حق الآخر في الإسلام بحكم الشرع واجبٌ تكليفيٌّ مفروضٌ على أحدهما لصالح الآخر.

إن غاية الإسلام نحو الآخر هي تحقيق مصالح الناس ورفع الضرر عنهم، ومقصوده هو إقامة العدل بينهم ومنع عدوان بعضهم على بعض، رحمةً من الله بالإنسان.

لقد اعتمد الإسلام الأخوة ورفض الحزبية والعنصرية نحو الآخر، قال صلى الله عليه وسلم: «لا حلف في الإسلام ولا سخرية»، وأوجب على المسلم احترام الآخر والمحافظة على كرامته، ومنع الكراهية والعداوة بين الناس، والغيبة، والنميمة، والتجسس، وعدم احتقارهم للآخرين أو الاعتداء على ممتلكاتهم.

لقد اهتم الإسلام بالتكافل الاجتماعي مع الآخرين من غير المسلمين، وفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، واهتم به الخلفاء الراشدون بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، خاصةً مع أهل الذمة، من أجل بناء مجتمعٍ مشتركٍ يتعاون فيه الجميع، مجتمعًا يُغاث فيه الإنسان سواء أكان مسلمًا أم غير مسلم، سيرًا لنهج الإسلام.

أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم. استثني من الترتيب لشرفه.
الأحكام السلطانية-- أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي، طبعة دار الكتاب العربي-الرياض.
أخلاق الحروب في السنة النبوية، راغب السرجاني، الطبعة الأولى، مؤسسة اقرأ للنشر.
أدب الدنيا والدين-أبو الحسن الماوردي، الطبعة الأولى، 1410ه.
الأصول التاريخية لحماية الأقليات-كاملة محمد غريب- جامعة حلوان -كلية الحقوق-2021 م
البداية والنهاية- أبو الفدا إسماعيل بن كثير القرشي- بيروت.
بين الإسلام والمسيحية-أبو عبيدة الخوارزمي- تحقيق: د/ محمد شامة.
تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)
تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار
الناشر: دار العلم للملايين - بيروت
الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، لأبي محمد عبد الله الترجمان الميورقي- تحقيق وتعليق: عمر رفيق الدالوق- دار البشائر الإسلامية- الطبعة الأولى، 1408ه/ 1988م.
التسامح والإخاء الإنساني في الإسلام، د/ محمود قمر، معهد الدراسات والبحوث الإنسانية- المريوطية- الهرم، الطبعة الأولى، 1443ه
تفسير الشيخ المراغي، للأستاذ أحمد مصطفى المراغي، المكتبة التجارية- مكة المكرمة.
تفسير العظمة على الجبل- يوحنا ذهبي الفم- ترجمة: جرجس كامل، مراجعة: تادرس يعقوب، ط 2005م، مكتبة الهند- الأنبا روس- العباسية- القاهرة.
التفسير الكبير، مفاتح الغيب، فخر الدين الرازي .- دار إحياء التراث العربي-بيروت- 1420 ه
التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين- د/ محمد عبده حنا- ط الأولى- عمان- الأردن.
حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والفكر القانوني الغربي-د/محمد فتحي عثمان- دار الشروق- بيروت، ط1402ه/ 1982م.
حقوق الإنسان في الإسلام، د/ محمد الزحيلي، دار ابن كثير- دمشق- بيروت، ط2.
حقوق الإنسان والتميز العنصري في الإسلام، د/ عبد العزيز الخياط- دار السلام، 1409ه.
خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر- شمس الدين البابلي/ 41/4- طبعة القاهرة، 1284ه.
دستور الأخلاق في القرآن الكريم، د/ محمد عبد الله دراز، تحقيق:
أ.د/عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة.
الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ترجمة: د/ حسن إبراهيم حسن،
ود/ عبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية.
روح الثورات الفرنسية-غوستاف لبون-ترجمة: عادل زعيتر- مؤسسة هنداوي للنشر.
سن ابن ماجه: أبوعبدالله محمد بن يزيد القزويني، حققه شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة العالمية ، الطبعة الأولى 1430هـ
سنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٠٢ - ٢٧٥ هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره ،الناشر: دار الرسالة العالمية ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
سنن الترمذي/ أبوعيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية 1403هـ1983م
سنن النسائي/ أبوعبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني النسائي، حققه: عبدالفتاح أبوغدة، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثالثة1414هـ1994م
شبكة ضياء للمؤتمرات- إرساء دعائم التسامح والتعايش من خلال التكافل الاجتماعي في عهد عمر بن عبد العزيز- www.dia.net- فتحية زروالي، باحثة في الدراسات الإسلامية- المغرب.

صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، المحقق: د. مصطفى ديب البغا ، الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق ، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .
صحيح مسلم / أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة ، (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها) ،
عام النشر: ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م
الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن قيم الجوزية- دار الوطن- الرياض، تحقيق: محمد حامد الفقي.
العلاقات الإنسانية في القرآن والسنة، د/ مجاهد محمد هريدي، دار الرشيد للنشر والتوزيع.
علم أصول الفقه، للشيخ عبد العزيز خلاف، الطبعة الخامسة، دار القلم للطباعة والنشر- الكويت، 1403ه/ 1983م.
عناصر القوة في الإسلام، للشيخ سيد سابق، دار الكتاب العربي- بيروت، 1398ه/ 1978م.
العهد الجديد.
العهد القديم.
الفروق، للقرافي، شهاب الدين أبو العباس القرافي، عالم الكتب- بيروت.
الفصل في الملل والنحل- ابن حزم الأندلسي الظاهري- مكتبة السلام العالمية.
الفقه الإسلامي، د/ محمد يوسف موسى- مؤسسة الرسالة- بيروت.
القاموس المحيط./ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية 1407هـ 1987م
قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام- د/ توفيق الطويل- الطبعة الأولى 1412ه/ 1991م.
قصة الحضارة- ول ديورانت- ترجمة محمد بدران- المجلد الرابع- طبعة بيروت- وتونس.
كتاب الحق في القرآن الكريم، للشيخ محمد الراوي، مكتبة العبيكان- الرياض، 1415ه/ 1995م.
كثرة العتاب تفرق الأحباب- إسلام ويب- د/ خالد سعد النجار، تاريخ النشر 2015/3/5.
الكليات الخمس، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي أبوالبقاء .تحقيق د/عدنان درويش .مؤسسة الرسالة -1419ه-1998م
اللاهوت العربي وأصول العنف الديني- يوسف زيدان.
لسان العرب، لابن منظور- طبعة دار صادر بيروت.الطابعة الثالثة 1414ه
الله ليس كذلك-الباحثة الألمانية/ زيجريد هونكة- ترجمة: غريب محمد غريب- دار الشروق - الطبعة الأولى 1416ه 1995م.
المجتمع الإسلامي، د/ مصطفى عبد الواحد، دار البيان العربي بجدة، الطبعة الثالثة 1404ه.
مجلة الأزهر- يصدرها مجمع البحوث الإسلامية، عدد: صفر 1425- أبريل- لسنة 1977، أ. د/ محمد رجب البيومي رئيس تحرير المجلة.
مجلة جامعة دمشق- التفاضل بين البشر في الجنس والعرق والوراثة- دراسة مقارنة- د/ إبراهيم أحمد ديبو- كلية الشريعة- جامعة حلب.
مجلة حقوق حلوان للدراسات القانونية والاقتصادية- كاملة محمد غريب.
مجلس حكماء المسلمين- تقديم أ. د/ علي راشد النعيمي، الأمين العام لمجلس حكماء المسلمين، من محرم 1436ه/ أكتوبر 2014م، إلى رجب 1438ه/ إبريل 2017م.
محاضرات في النصرانية- الإمام محمد أبو زهرة- دار الفكر العربي.
المحاور الخمسة للقرآن الكريم- الشيخ محمد الغزالي- دار الشروق للنشر، 2017 م
مختار الصحاح- محمدابن ابى بكر الرازي- الطبعة الأولى-مطبعة بولاق المصرية1865 م.
مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربين بيروت الطبعة الثالثة 1416هـ 1996م
المدخل إلى نظرية القانون ونظرية الحق- د/ إبراهيم أبو الليل، ود/ محمد الألفي- جامعة الكويت.

مسند الإمام أحمد بن حنبل بن هلال بن أسعد الشيباني-حققه- شعيب الأرناؤوط- عادل مرشد، إشراف: عبد المحسن الزكي- الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.
المسيح في مصادر العقائد المسيحية-حققه- أحمد عبد الوهاب. مكتبة وهبة بالقاهرة
المسيحية والسيف- تأليف: المطران يرتولومي دي لاكازاس- ترجمة: سميرة عزمي الزمن، منشورات العهد الدولي للدراسات الإنسانية.
المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبوالعباس أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، المكتبة العلمية ببيروت
مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية- د/ رقية العلواني، والأب كريستيان فانسين.
المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني دار القلم،الدار الشامية،-دمشق بيروت ،الطبعة الأولى 1412 ه
مقارنة الأديان- دراسة في عقائد الأديان اليهودية والمسيحية والإسلام والأديان الوضعية، د/ طارق خليل السعدي- بيروت، ط دار العلوم 1425ه/ 2005م.
مقامع الصلبان- أحمد عبد الصمد الخزرجي- حققه: عبد المجيد الشرفي.سلسلة الدراسات الإسلامية - 1186 م
الملل المعاصرة في الدين اليهودي- الدكتور/ إسماعيل راجي الفاروقي، مكتبة وهبة-القاهرة-الطابعة الثانية 1998م.
منهج السيرة النبوية في التعامل مع الآخر، سعد عبد الله الحميد- شبكة الألوكة.
الموافقات، للشاطبي، دار ابن عفان – الطبعة الأولى 1417ه-1997م
الموسوعة الكنيسية لتفسير العهد الجديد- إعداد مجموعة من كهنة ماري مرقص القبطية الأرثوذكسية- مصر الجديدة.
نزهة الأعين والنواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي المتوفى 597ه، تحقيق: محمد عبد الكريم، كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان.
نساء أهل البيت في ضوء القرآن والحديث، -د/احمد خليل جمعة-دار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع.1994 م
النصرانية والإسلام- المستشار عزت الطهطاوي- الطبعة الثالثة.
نظرة جديدة في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، تعريف: محمد التونجي، الدار العربية للموسوعات، 1982م.